حب بلا مأوى



أحمد فريد

حب بلا مأوى

الناشر
دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

اسـم الكـتاب: حب بلا مأوى

اسم المؤلف : أحمد فريد

سنة النشـــر : 2005م

رقم الإيـداع : 11071 / 2005م

الترقيم الدولي : 9 - 506 - 303 - 977

الناشـــر

دار قبـــاء

للطباعة والنشر والتوزيع

(16) عمـــارات العـــبور شـــارع صـــلاح ســـالم
الدور الثالث ـ مدينة نصر ـ القاهرة

تليفاكـــس : 02/2621365

محمـــول : 012/3140315

الإهـداء

يقول السفهـــاء :

الذى لا يملك .. لا يحق له أن يطلب

ويقول الأغبياء :

نهـر الجـاه فـى أيدينـا لا ينضب

ويقول الشرفاء :

"نبض" الحب فى القلوب لا يكذب

أحمد فريد



ليلة من ليالى وداع الخريف والقمر يتلألأ مزهوًّا بصفائه وسط السماء بعد أن رحل عنه غيوم السحب الكثيفة وعبث الرعد وسطوة البرق .

كانت الساعة الحادية عشر قبل منتصف تلك الليلة وعيون ناهد تغوص فى دموعها وهى تراقب من وراء النافذة أغصان الشجر المترنحة بعد صراعها مع لفحات الخريف القارصة . .

بكت بمرارة لأنها المرة الأولى التى تضطر فيها لأن تصفع شقيقتها التى تصغرها بخمس سنوات بعد مناقشة مثيرة اشتعل خلالها الحوار للدرجة التى باءت فيها محاولات أختهما الصغرى لإنهاء الجدال بينهما بسلام ووقفت منبهرة من هول المفاجأة أمام تصرف ناهد الغريب مع نجوى.

لم تكن إحداهن تتوقع أن تأتى تلك اللحظة الصارخة وتفجر نفسها وسط سكون الليل لتمزق شرايين المودة والتراحم بينهن بلا وعى أو تدبير.

ناهد الفتاة الحالمة الرقيقة، كيف استطاع غضبها فى غفلة عن عقلها المتزن أن يدفعها دون إرادة لتكبت رغبة نجوى فى مجادلتها بهذه الطريقة ؟!

هى فى الثلاثين من عمرها .. جمالها يصعب وصفه أو تحديد ملامحه فوجهها كومضة الضوء الهادئ وعينيها تضفى على كل من ينظر إليها وكأنهم أمام ينبوعان يشعان دفئاً وحناناً .. شعرها غزلت أشعة الشمس خصلاته، ونبرة صوتها كصدى الأحلام، وكيانها هائم فى قوام ممشوق يتنفس شبابا ونضرة .

كل هذا الجمال لم يشفع لها أمام القدر وهو يضع فوق كاهلها الرقيق المسئولية المأساوية التى فاجأها بها عند وفاة والدهن منذ تسع سنوات .

كان عليها أن تلعب دور الأب والأم التى توفت وهى تلد الشقيقة الصغرى ..

تحملت مالا يمكن لأحد فى مثل عمرها الصغير أن يتحمله. الأب ترك لهن ميراثا من المبادئ والقيم والأخلاق الحميدة .. و.. معاش ضئيل كان عليها أن تحمي ذلك الميراث بكل إصرار وتفاني واضطرت للعمل وهى تواصل دراستها من أجل استكمال رسالة والدها فى رعاية شقيقتيها .

سهرت الليالي .. تعذبت .. انتقلت من مكان إلى آخر .. حرمت نفسها من أبسط الحقوق كفتاة صغيرة فى مقتبل حياتها .. إلى أن استقر بها الأمر فى وظيفة أمينة سر داخل المحكمة .

فرضت حول كيانها حصاراً يمنع تسلل الآمال والأحلام والرغبات الوردية إلى وجدانها .

فعلت كل هذا دون كلل أو ملل أو تذمر. فعلته حباً وانتماءاً من أجل ميراث أبيها .. ومن أجل نجوى ونشوى .

حتى قلبها لم يسلم من ذلك الحصار العنيد

وتصدت لمحاولات نبضاته لأن ينال قسطاً من حقوقه الطبيعية عليها .

كانت المفاجأة أبعد من كل التوقعات عندما ألمحت نجوى فى حديث عابر معها بأنها تفكر فى الارتباط برجل يكبرها بخمسة وأربعين عاما !! .. رجل في السبعين من عمره .

كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!! .. أي منطق!! .. وأين العقل الذى يتقبل تلك الفكرة المثيرة؟!! .. و.. المقززة ! .

.. لقد أصابك الجنون بلا شك .

هكذا صرخت فى وجهها .. ولكن .. باءت محاولات إقناعها بالعدول عن رأيها الغريب بالفشل والعناد .. فاضطرت دون إرادة أن تنقض عليها وتصفعها على وجهها بقوة لعلها تفيق من غيبوبتها الهستيرية .. ولكن الأخرى ازدادت عناداً وتصلباً فى رأيها .. هددت وتوعدت بترك المنزل فجأة .. وأعلنت عن حقها فى تقرير مصيرها .. عايرتها بالعنوسه . و..

ولم تستطع ناهد أن تقاوم رغبتها فى المحاولة مرة أخرى مع شقيقتها، واتخذت طريقها إلى غرفة نجوى ونشوى وبعد لحظة تردد تخلصت فيها من بقايا دموعها دخلت إليها وتقدمت نحو نجوى بهدوء. ثم قالت بحب :

ـ أنا آسفة يا حبيبتى .. لست أدرى كيف أقدمت علي ذلك التصرف معك؟! .. فسامحينى .

انتظرت رد فعل نجوى للحظات ولكن الأخت لم تعقب ولم تحاول النظر إليها .. فالتفتت نحو نشوى ورددت من جديد :

ـ أنت يا نشوى الأصغر بيننا .. فهل يرضيك ما يحدث وما تقوله أختك ؟..

نظرت ذات الواحد والعشرين ربيعا إلى لا شىء دون أن تتفوه بكلمة واحدة وكأنها غير متواجدة فى الغرفة معهما .

اقتربت ناهد أكثر من شقيقتها ثم ربتت على كتفها بحنان وقالت بنبرة هادئة :

ـ يا نجوى أنا أختك الكبرى وأعرف أكثر منك من أمور الدنيا ويجب أن تثقى فى نصائحى .. فأنا ..

ولكنها توقفت عن الحديث أمام انتفاضة نجوى فى ثورة مكبوتة ونظرت إليها بتحدى قائلة :

ـ اسمعى أنتى ما سأقوله لك .. بالنسبة لى فأنا لن أسامحك ما حييت على صفعتك لى، أما بالنسبة لكِ بل لكما انتن الاثنتين فيجب أن تعلما أن لا أحد له وصاية علىّ .. وبأننى صاحبة حق مثلكما تماما فى هذه الشقة ولن أسمح لأحد مهما كان أمره أن يتدخل فى حياتى أو فى قراراتى، ومن الآن وصاعدا سأرد لك الصاع صاعين إذا حاولتى مرة أخرى اقتحام حياتى .

جلست ناهد على طرف الفراش وكأنها تتهاوى.. ثم قالت :

ـ أنا لا أصدق ما أراه وما أسمعه .. هل أنتِ

نجوى شقيقتى الصغيرة التى توليت رعايتك منذ وفاة أبينا .

التفتت إليها الأخرى ورمقتها بنظرة قاسية .. وأجابت :

ـ بل يجب أن تصدقى ما تريه وما تسمعيه .. واحتفظى بنصائحك لنفسك وكفانا من عقدك.
ارتعشت شفتيها وهى تردد :

ـ عقدى .. أنا معقدة يا نجوى .. أتعتبرين المثل والقيم والمبادئ التى حاولت أن أبثها فيكن مجرد عقد؟! و..

ومرة أخرى تصمت أمام هياج شقيقتها التى توجهت إلى دولاب ملابسها وراحت تلقى بما داخله القطعة وراء الأخرى وهى تصرخ فى شبه هستيرية :

ـ انظري يا فيلسوفة عصرك .. انظرى إلى ميراث المبادئ يا عاقلة أتحداك لو التقطى قطعة ملابس واحدة غير ممزقة أو تلاشت ألوانها . هذا الوهم الذى

تتشدقين به ليل نهار لن يأتيني بملابس جديدة .. لن يسعفني إذا احتجت إلى طبيب .. لن يشبع جوعي ولن يمكنني من أن أعيش وأحقق أحلامي كأي فتاه ترغب في أن يكون لها بيت وأسره وأبناء .

ابتلعت ناهد غيظها وهي تتساءل بصعوبة :

ـ وهل زواجك من رجل في عمر جدك هو الذي سيحقق لك البيت والأسرة والأبناء والسعادة التي تنشدينها؟! . أجابت مسرعة :

ـ بالطبع لا ...

تلقت إجابتها كالصاعقة وهي تقول :

ـ ستقيمين علاقة معه بلا زواج .

كادت أن تبصق عليها قبل أن تجيب :

ـ أهذا ما هداه لك تفكيرك .. هل علمتك أخلاقك الحميدة أن تظني بأختك ذلك الظن المشين؟!!

ـ أخبريني بمبرراتك إذن .

قالت بتحدى :

ـ أنا لست مضطرة لأن أسرد لك مبرراتى .. ولكن على كل حال سأخبرك لعلك تفهمين الدنيا على حقيقتها .

و.. أخبرتها بكل شىء .. بأنها ستتزوجه شرعيا بالإضافة إلى عقد موثق بينهما مدته عشر سنوات يمنحها الحق بأن تكون وريثته الوحيدة لكل أملاكه وثروته فى حالة وفاته قبل انقضاء مدة الاتفاق أو تحصل على ثلثى الثروة ويتم طلاقها بعد نهاية المدة ويعتزل هو فى أحد أديرة المسنين .

كانت نجوى تتحدث بثقة كبيرة غير مهتمة لصدى كلماتها علي شقيقتيها .. تحدثت وكأنها تحاور أحلامها وتستدعى آمالها بين كفيها .. تروح وتغدو داخل الغرفة بخطوات راقصة كما لو كانت تهيم فوق السحاب. فهى متوسطة الجمال ولكن كيانها يكاد يتفجر أنوثة وقد تحولت بشرتها القمحية اللون ومالت

إلى الاحمرار من شدة الانفعال وراح شعرها الداكن القصير يترنح يمينا وشمالا فوق جبهتها من انسياب خصلاته الحريرية اللامعة. مقلتيها تبرق ببريق ملؤه الذكاء والفطنة، وقوامها مشدود بنضرة الشباب المتدفق.

وللمرة الأولى تتدخل نشوى فى الحوار وتبادرها متسائلة فى انبهار:

ـ من ذلك الرجل ؟!!

أجابتها بفخر:

ـ إنه عادل بك الخولى .

عادت نشوى متساءلة :

ـ المقاول الشهير.. أنا أعلم أنك تعملين فى إحدى شركاته .

ـ نعم أعمل طرفه بل عنده من ضمن الكثيرات من سكرتيراته .. والصدفة وحدها بل القدر الجميل هو الذى جعله ينتبه لى ويخصنى وحدى بتلك العلاقة إلى

أن وصلنا إلى هذا الاتفاق .. الجنون بعينه أن أترك تلك الفرصة بل من الغباء أيضا مجرد التفكير فى التردد .

فأجابتها ناهد قائلة :

ـ أتبيعين شبابك وكيانك من أجل المال؟! .. أتقبرين حياتك فى أحضان ذلك الكهل لرغبتك فى شراء بعض الملابس الجديدة ؟!

سلَّطت نظرتها إليها وأجابت بتهكم :

ـ أنا لا أبيع شبابي بل أؤجره لفترة مقابل الحفاظ عليه والاستمتاع به .. والمسألة ليست مجرد مجموعة ملابس جديدة يا عاقلة!! .. إنها الملايين .. الملايين التى سأمتلكها وسأكون فى أسوء الأمور قد وصلت إلى مثل عمرك الآن تقريبا . أمَّا إذا وافته المنية قبل ذلك فسيكون الأمر أفضل على كل حال .

ـ أنت مجنونة .. فالمستقبل المشرق لا يزال أمامك . ولا أحد يعلم بماذا يحمل له الغد فقد تلتقين بشاب تحبينه ويحبك وتعيشين معه حياة سعيدة

طبيعية أفضل مليون مرة من تلك الأفكار البوهيمية التى يرفضها المنطق والعقل والطبيعة .

أطلقت ضحكة متبجحة وغير متوقعة ثم قالت :

ـ بل أنتِ الواهمة .. يا أختى الحبيبة أنت من ضمن الأسباب التى حمستنى وشجعتنى لقبول ذلك العرض .. فها أنت بالرغم من جمالك الصارخ أراك تخطين نحو طريق العنوسة على أمل ظهور الفارس الشاب الذى سيحملك على جواده الأبيض .. لا يا عزيزتى فتلك أسطورة نتحاكى بها قبل النوم .. ولكن الواقع غير ذلك .. الواقع يقول بأنك إما تتخلين عن مبادئك الزائفة وترتضين على نفسك وعلينا بأن تتزوجى من شاب فى مثل عمرك ليعيش بيننا جميعا ونحن فتيات .. وإما تحصلين علي لقب العانس . أو.. تفعلين ما سوف أفعله .. ولو أن هذا أيضا غير متاح لك أو لأى فتاة أخرى .. فالفرصة لا تأتى مرتين وأنا لست على هذا القدر من الغباء لكى أضيع فرصتى هذه .

نهضت وهى تردد فى قهر :

ـ أتعايرينى بالعنوسة بعد كل ما فعلته من أجلكما .

ـ أنا لا أعايرك .. بل أحاول أن أوضح الأمور أمامك .

ـ أهذا ما جناه أبى بعد رحلته الطويلة الشاقة من أجل أن يبث فينا القيم والمثل العليا لحمايتنا من نوائب الزمن؟!! .. أبى الذى سهر الليالى على رعايتنا وحرم نفسه من ملذات الحياة ورفض أن يتزوج من أجلنا .. أهذا هو ردك وعرفانك لذكراه العطرة الطيبة؟!!

ـ ها أنتِ عدتى إلى أوهام المثل العليا .. من أدراك لو كان أبانا نفسه يعلم مصيرنا وحالنا اليوم لتغيرت مفاهيم كثيرة لديه .. و ..

وتقدمت لتقف فى مواجهتها فى محاولة لاعتراض طريقها قبل مغادرتها الغرفة .. وقالت بفتور :

ـ أخبرينى يا ناهد .. ما هى الخطيئة التى

ارتكبتها؟ وما هو الذنب الذى سأقترفه بزواجى من هذا الرجل؟ .. هل الشرائع السماوية كلها تحرم الزواج من رجل يكبرنى فى السن؟ .. أم أنك تحسديننى على ما سأكون فيه ؟

دفعتها برفق لكي تتجاوزها .. وهى تقول :

ـ بل أشفق عليك .. وكل ما أرجوه منك أن تمنحى نفسك فرصة أخيرة للتفكير.. فإذا كانت حياتك قد هانت عليك فأنت لا تهونين علينا .

وغادرت الغرفة وهى تقاوم دموعها المحملة بالحسرة والألم وبلا مقدمات التفتت نجوى تجاه نشوى وبادرتها قائلة :

ـ وأنت .. لم أسمع رأيك حتى الآن .. أم أنك مثلها.

فجأة قفزت نشوى فوق فراشها واندست بالكامل تحت الغطاء وكأنها تحاول أن تخفى ما يدور فى خلدها ورددت :

ـ أنا فى انتظار نتيجة الليسانس غدا .

همهمت نجوى في صمت مرددة ..

انتظار.. انتظار.. كم أكره تلك الكلمة .

تململت نشوى تحت الغطاء وهى تحاول التخلص من هواجس التساؤلات التى هاجمت فكرها .. الحيرة افترست قدرتها على التوازن .

أى منهن على صواب؟!! ناهد أم نجوى؟!! دارت بعينيها فى جوف ظلمة الغطاء وكأنها تبحث عن الحقيقة .. عن إجابة تطفئ لهيب ذلك التشتت الذهنى.. كيف تحول البيت الهادئ إلى فوهه بركان متأهب للانفجار فى أية لحظة؟! .. على أى طريق تخطو وأى منطق تتبعه!! .. نبهها شيطانها لخاطر لم يمر يوما فى فكرها .. تنبهت لأول مرة إنها مختلفة عن الاثنتين فهى شقراء بيضاء، خضراء المقلتين نحيفه كراقصات الباليه الجميع يشيد بخفة ظلها .. فهل يا ترى ماذا سيكون موقفها لو واتتها نفس فرصة شقيقتها؟! .. وأغلقت جفنيها بمجرد أن راودها ذلك التساؤل وكأنها تخشى أن تراها ناهد أو تسمعها فتصفعها على وجهها هى الأخرى.

ولكن ناهد بطبيعة الحال لم تسمعها، حيث عادت إلى غرفتها وجلست أمام النافذة مرة أخرى تتابع بلا تركيز حركة الطبيعة ولكن بإحساس آخر.. فلم يعد القمر مضيئا، ولا السماء صافية .. وتحولت نسائم الخريف إلى نعيق البوم .. وانحنت أفرع الأشجار فى انكسار مقهور.. وعادت الغيوم تفترش الأفق .. شعرت وكأنها تستنشق الضباب فى صدرها والرعد يدوى فى أذنها. أحست بالنجوم ترشقها بجمرات من جهنم .. وأنفاس الشر تطرق نافذتها .. رأت الدنيا غير الدنيا .. الفجر يهرب والليل يولول .. الطيور بلا أجنحة والجراد يجرد الأرض من نضرتها .. كل البشر مجرد هياكل عظمية بلا روح وبلا وجدان .. بلا جسد ولا كيان.

نهضت مذعورة وتلفتت حولها إلى أرجاء الغرفة ورددت فى حسرة دفينة ..

يا أبى .. أين أنت يا أبى؟!



السـاعة الثـانية والنصف ظهرا .

الطـريق يكـاد أن يـنفجر مـن زحـام السـيارات المختلفة وهى تسير بصعوبة بالغة فى شكل أقرب إلى التلاصق .. المـارة يسيرون وكـأنهم فـى مظاهـرة غاضبة، الـبعض فـوق الأرصـفة والآخـر يمـرق وسـط السـيارات والثـالث يكاد يتدلى من أبواب الحافلات العامة .

واختلطت الأحـداث ببعضها وذابـت فـى لحظـة زمنـية واحـدة، الضوضـاء وعـوادم السـيارات وكـلمات السباب واللعنـات وعتـاب المتشاجرين وهرولة البائعين وسماجة الشحاذين .

صـورة كونـية اسـتقرت فـوق وحـول أحـد ميادين القاهـرة . بيـنما وقفـت نـاهد تحـت مظلـة محطـة

الأتوبيس تتابع الصاعدين والهابطين من الحافلات المختلفة دون أن تتحرك .. فهى تقف لغرض آخر غير البحث عن وسيلة لعودتها إلى منزلها .

هى فى انتظار وسيلة أخرى تلتقطها من داخل دوامة أفكارها المضطربة والتي أسقطتها فيها نجوى بقرارها المفاجئ .. كانت فى انتظار وحيد فهذا التوقيت هو موعد انصرافه من مبنى الوزارة التى يعمل بها فى قسم شئون العاملين اسمه على مسمى فهو وحيد والديه بالفعل ويقيم معهما فى شقة من غرفتين يحتل هو إحداهما والثانية تضم والده القعيد المريض ووالدته التى أنهكتها الليالى ما بين تمريض والده وبين حياكة الملابس للجيران والمحلات الصغيرة .

شاءت الأقدار أن تجمع بينهما فى قصة حب بدأت منذ ثلاث سنوات .. قصة سجنت وراء قضبان الكتمان والسرية، صفحاتها لم يقرأ أحد أسطرها ولم يسمع بها غيرهما .. أخفتها ناهد عن الجميع لأنها تدرك جيدا إذا ما هى أفصحت عن تلك العلاقة فحتما

ستجد نفسها مضطرة لتحديد موعدًا لنهايتها الطبيعية.. وهي لا تعرف لقصتها نهاية !! فرحلة الكفاح قد تطول .. فهو يعمل صباحا في الوزارة ومساءًا يقوم بتدريب الشباب في أحد مشروعات الجمانزيوم من أجل توفيرا المال اللازم الذى يمكنه من استبدال الشقة بأخرى أكبر منها قليلا حتى يتمكن من إتمام الزواج خاصة وأن والدته تستغل حجرته في تخزين بعض الأقمشة ولوازم الحياكة واستحالة أن تنضم زوجة أيضا إلى غرفته .

و.. رأته ناهد وهو يعبر الطريق نحوها. راقبته بنظرة حانية ومتلهفة، لم تعد تشعر بالزحام أو الضوضاء أحست به وكأنه الرجل الوحيد في هذا الكون.. فهي أعجبت به قبل أن تحبه، تراه في أحسن صورة للشاب المكافح الذى يتمسك بالأخلاق الحميدة والصفات المثالية. فهو بالإضافة لوسامته وبنيانه القوي الرياضي؛ فهو أيضا لا يميل للإختلاط بأقرانه الشباب الذى تغلب عليهم التصرفات العبثية

واللامبالاة. كما أنه يحافظ على صحته فلا يدخن ولا يسهر الليالى من أجل الاحتفاظ بوظيفته المسائية وأيضا توفيراً للنقود التى سينفقها على متعته الخاصة حتى يتمكن من تحقيق حلمهما .

وما أن اقترب منها حتى بادرها قائلا :

ـ هل تأخرت عليك يا حبيبتي ؟

سبقتها ابتسامتها الرقيقة قبل أن تجيب :

ـ لا يا وحيد .. المهم أنك حضرت .

مسح الطريق بنظرة واثقة .. ثم عاد ليقول :

ـ اليوم يا غالية سنتصرف كالأثرياء .

ـ ماذا تقصد ؟!

أجاب بجدية :

ـ سنستقل سيارة أجرة . لتذهب بنا إلى مكاننا

فزعت من تهوره وأسرعت قائلة :

ـ أجننت يا وحيد .. فالأتوبيس سيأتى حالاً. أم أنك تمزح !!!

دفعها برفق للسير بجواره بعيداً عن موقف الحافلة .. ثم التفت إليها وأسارير السعادة تملأ وجهه وقال :

ـ اليوم استلمت مبلغ الجمعية ودورى كان الأخير.. فلا أعباء مالية ولا أقساط شهرية .. المبلغ يا عزيزتى صافيا لى .. وأعتقد أن من حقنا أن نستمتع بجزء منه اليوم .

أخفت سعادتها وهى تقول :

ـ هذا لا يعطيك حق البذخ .. و..

ولكنها توقفت عن الحديث عندما فاجأها مردداً:

.. تاكسى .. تاكسى .

وأوقف سيارة الأجرة واندلف بداخلها وأجلسها بجواره صامتا وهى تتأمل وجهه بحب.. ثم همست قائلة:

ـ أحيانا .. أعشق جنونك .

وانطلقت بهما السيارة الأجرة حسب تعليماته فى اتجاه حى المنيل حيث توجد كافيتريا صغيرة تطل على النيل سبق وأن جلسا بداخلها مرتين فى الماضى وبالتحديد مع نهاية أقساط جمعيته التى يتعمد أن يكون دوره الأخير فيها .. مرتين وهذه هى الثالثة .. أو مرة فى العام وهذا هو العام الثالث .

وفى الطريق كانت المدة كافية لأن تخبره فيها بما حدث من شقيقتها نجوى ونقلت إليه حيرتها وغضبها الشديد من التصرف وكأنها بهذا قد ألقت عليه بمسئوليه اتخاذ القرار السليم والكيفية التى تواجه بها هذه الكارثة.

وطواهما الصمت حتى استقرا داخل الكافتيريا.. ثم عادت لتتساءل وكأنها تحدث نفسها :

ـ لا أدرى كيف أتصرف معها !!

شرد ذهنه بعيداً عنها وهو يتأمل سريان النيل الوقور ثم انتبه لصوتها وهى تقول :

ـ ماذا أفعل يا وحيد؟ .. البنت سوف تدمر حياتها.

أجاب بفتور:

ـ وهل الرجل صادق فيما يقول ؟!

احتدت في انفعال مكبوت مرددة :

ـ أقول لك البنت ستدمر نفسها .. وأنت تتساءل إن كان الرجل صادقا أم لا .. أنا لا يهمنى أمره .. ولكن نجوى هى التى تخصنى .. كيف ترتبط فتاه بشيخ يكبرها بخمسين عاما تقريبا ؟!

ـ تدارك موقفه سريعا .. وقال باهتمام فى محاولة لتهدئتها :

ـ إنه أمر غريب حقا .. ولكن .. المشكلة أن أختك ليست قاصرة وقد تأخذ القرار سواء وافقتى أم رفضتى.

ـ لن يحدث هذا .. وإن فعلت سوف أتبرأ منها لنهاية العمر.

و.. صمتت للحظات وهى تفرك فى أصابع كفيها .. واستطردت :

ـ المأساة أكبر من ذلك .. فهى ستؤثر حتما على أفكار أختنا الصغرى وسيكون الثمن باهظا .. لقد تعبت من حياتى والمسئولية تكاد تقوس ظهرى .. ماذا أفعل يا ربى؟ ..

ولم تستطع التحكم فى نزيف الدمع الصامت من عينيها وراحت تخفيه بأطراف أصابعها حتى لا يراها أحد من زوار المكان .. ولكن وحيد رآها وكاد ينخلع قلبه شفقة على حيرتها فربت على يدها برفق مردداً :

ـ أرجوك يا ناهد توقفى عن البكاء .. لا أنا ولا أنتِ نحتمل المزيد من الحزن . و..

اعتصر جبهته بقوه .. ثم أردف :

ـ يالها من دنيا غريبة!! .. فلم نعد نعرف أين الحقيقة .. من منا على صواب ومن منا على خطأ. التناقضات أصبحت تسيطر على حياتنا وأفكارنا .. فبسبب المال أختك قد تدمر حياتها كما تقولين وبسبب المال نعجز أنا وأنتِ عن بدء حياتنا .. أليست سخرية من أقدارنا؟!

تأملته بدهشة متشككة قبل أن تقول :

ـ هناك فرق بين الحالتين .. ثم ماذا تقصد بسخرية الأقدار؟

ازدرد ريقه كما لو كان يبتلع خطيئته.. ثم همس باستحياء :

ـ لا أقصد شيئاً .. فقط أردت أن أوضح الموقف نفسه.

ـ الموقف ليس فى حاجة للتوضيح أكثر من أن الرجل استغل براءتها وقله خبرتها فى الحياة وبدأ يغويها بماله وثرائه لكى يسيل لعابها عليه .

وبلا إرادة وجد نفسه يقول :

ـ على كل حال أنا لا أملك حيالها شيئاً .

شعرت وكأنه يرغب فى إنهاء الحديث فى هذا الموضوع واخترق الإحباط صدرها .. فقالت بلا تردد :

ـ فاتنى حقاً أنك لا تملك اتخاذ القرار فى هذا الشأن .. و.. نهضت فى توتر مسترسلة :

ـ من الأفضل أن ننصرف الآن .

أربكه تصرفها المفاجئ .. فنهض ثم جلس سريعا وهو يجذبها للجلوس مرة أخرى .. وقال بعد أن أجلسها:

ـ لم نطلب الغذاء بعد .

أجابت بشبه تهكم :

ـ لا داعى للمظاهر الزائفة .. فأنا وأنت نعلم جيدا بأن قيمة طعام الغذاء هنا ثمنه باهظا جداً فيه رائحة سهر الليالى وعرق الكفاح وسيبعدنا قليلا عن تحقيق أحلامنا .

حاول أن يعيد إليها توازنها وهدوءها.. فقال مبتسماً :

ـ والله عندك حق .. ماله ساندويتش الفول .. ولا طبق كشرى

تلألأت ابتسامتها الرقيقة فوق شفتيها وهى تعلق قائلة :

ـ أحيانا .. أعشق طاعتك .

سارع بالنهوض هو هذه المرة .. ومد يده إليها لترافقه .. وقال :

ـ أرجوك اسألي عني صباح الغد في العمل .. ضروري جداً .

توقفت عن السير بجانبه .. وتساءلت بخوف حقيقي:

ـ لماذا يا وحيد؟ .. هل لديك مشكلة .

خطى بها من جديد وهو يردد مازحاً :

ـ لأنني يا حبيبتي حتماً سأنال علقة ساخنة من شباب صالة الجمانيزيوم بعد أن يكتشفوا هزالي من قلة الطعام .

ولأول مرة تضحك ملء فمها وبصوت مسموع، فأسرع يشير إلى السماء قائلا :

ـ انظري .. انظري يا حياتي لقد تراجعت الشمس عن غروبها وأشرقت من جديد بعد أن سمعت ضحكتك.

وقبل أن تتفوه بكلمة واحدة .. فاجأها مرة أخرى صائحا :

.. تاكسى .. تاكسى .

ودفعها برفق لتستقل السيارة .. وهو يوجه حديثه للسائق قائلا :

ـ ميدان لاظوغلى يا أسطى من فضلك .

ثم التفت إليها وهمس بصوت منخفض :

ـ أعرف .. أعرف .. ستقولين أعشق جنونك .. أليس كذلك؟!!

فأومأت برأسها وهى صامته والسعادة ترفرف على ملامح وجهها بصدق كبير.

و.. بعد أن غادرا السيارة، تناول كف يدها وضغط عليه برفق وهو يقول بحب:

ـ طمئنينى عنك غداً يا حبيبتى .

تمتمت وهى تسحب يدها :

ـ لا تخشى علىّ .. فأنا بخير طالما أنت فى حياتى.

وانصرفا .. كل منهما فى اتجاه .

وصلت إلى منزلها سيراً على قدميها، وما أن صعدت درجات السلم واقتربت من الشقة حتى تسمرت فى مكانها للحظة عندما ترامى إلى مسامعها ضجيجاً وأصوات متداخلة داخل الشقة .

ثم قفزت باقى الدرجات وفتحت الباب لتجد شقيقتها نشوى تتوسط الردهة وهى ترقص وتقفز على نغمات الأغانى الصادرة من المسجل بصوت مرتفع، وما أن رأتها حتى اندفعت نحوها واحتضنتها بقوة وهى تحاول حملها وتدور بها بعيداً عن الأرض وهى تصرخ بسعادة :

ـ الأولى .. الأولى يا ناهد .. ظهرت نتيجة الليسانس وكنت الأولى على دفعتى.

وطفرت دموع الفرح لتغسل هموم الصدر .. وذابت مسحة الحزن والقلق وسط صيحات البهجة والأمل.

وواصلت نشوى نشوتها وراحت تردد وكأنها تهذى :

.. سأصبح معيده..

.. أخيراً تحقق حلمى

.. اليوم الأستاذة نشوى .. وغداً الدكتورة نشوى .

.. سأكون زميلة لمدحت .. و..

و.. اقتحمت لحظة صمت بينهما .. وكأنها لحظة جاءت لتشطر الزمن إلى شطرين .. أو الماضى إلى عمرين .. لحظة لا صوت ولا صدى فيها. فقط التقت نظراتهما فى موقف مثير للتساؤل .

ناهد تريد أن تقول: من هو مدحت؟

ونشوى تعاتب زلة لسانها وهى فى فرحتها .

ولكن الأمر لم يستحوذ من الزمن إلا على تلك اللحظة وعادت ناهد لتحتضن أختها بلهفة وصدق حقيقى مرددة بنبرة كلها تفاؤل :

ـ ألف مبروك يا حبيبتى.. أنتِ تستحقين كل الخير.

ثم اتجهت نحو المسجل وأغلقته والتفتت إليها قائلة بهدوء :

ـ أين نجوى .. ألم تأت بعد ؟!

ـ لقد جاءت وتناولت طعام غداؤها .. ثم انصرفت وهى تخبرنى بأنها على موعد هام يخصها .

أجابت ناهد وكأنها لم تسمع ما قالته شقيقتها الصغرى .. ورددت :

ـ مبروك يا حبيبتى. أخيراً دخل الفرح بيتنا .

واستدارت إلى غرفتها وأغلقت. الباب خلفها، ثم استرخت فوق الفراش وهى بملابسها وراحت تدور بعينيها فى أرجاء الغرفة كأنها تبحث فى أعماقها عن الموضوع الذى ستبدأ به رحلة أفكارها .. لقائها بوحيد .. أم مشكلة نجوى .. أم حياتها الخاصة .. أم .. مدحت هذا الذى لم يكن فى الحسبان .

ولكنها لم تعط لسلطان النوم حق قدره .. فغلبها النعاس.



منتهى القهر عندما يجد الإنسان نفسه أمام لحظة حتمية الاختيار أو الاختيار الحتمى .. أن تضطره الظروف لأن يتخذ قراراً كان من المستحيل أن يقدم عليه طوال ماضيه .. أن يسير باحثا عن الأمان وسط جحور العقارب، أو يستظل بأفرع شجرة ترقد فوق أغصانها الأفاعى .

منتهى القهر.. أن تضطر لمصافحة اليد التى تتأهب لطعنة الغدر.. أن تكابر فى ضعف وتقاوم فى خوف .

هكذا شعرت ناهد وهى فى طريقها إلى إدارة مجموعة الشركات التى يملكها عادل الخولى .. كان قرارها بالذهاب إليه باختيارها، ولكنه اختيار لا بديل له .. حتمى .

وبعد رحلة عناء من مكتب إلى آخر ما بين إجراءات أمنية فاقت كل تصوراتها وبين ملاحقتها بالأسئلة والاستفسارات عن سبب تلك الزيارة، وعما إذا كان لديها موعد سابقٍ أم لا .

وفي النهاية اضطرت لأن تخبر مجموعة السكرتارية قائلة :

ـ أخبروه بأن شقيقة نجوى تريد مقابلته .

طال بها الانتظار لأكثر من ساعة ونصف وهى جالسة فى أحد صالونات الانتظار، ثم انتقلت لصالون آخر لتنتظر نصف ساعة أخرى دون أن يلتفت إليها أحد .. كبتت إحساسها بالملل والضجر لأنها الفرصة الوحيدة التى يمكن أن تحقق فيها ذلك اللقاء بعد أن استأذنت من عملها لبضعة ساعات خصماً من راتبها .

و.. اقترب منها شاب هادئ .. قائلا :

ـ تفضلى .. عادل بك فى انتظارك .

سارت خلفه وهى تلملم شتات انفعالاتها، إلى

أن توقف أمام الباب الخارجى للمكتب وأفسح لها الطريق لدخولها بعد أن طرق عليه طرقة خفيفة ثم أغلقه من ورائها .

تسمرت للحظات فى مكانها وقد فاجأها إحساس بالرهبة وكأنها وجدت نفسها فجأة فى بلاد غريبة لا تعرف لغتها .. لم تستطع أن تتبين ملامح الرجل الجالس فى نهاية الغرفة وراء مكتبه، شعرت وكأن المسافة بينه وبينها أميالاً طويلة لا خطوات قليلة.. تقدمت على استحياء وما أن اقتربت منه حتى بادرها بنبرة واثقة فيها صدى للشموخ والكبرياء .. مردداً:

ـ أهلاً .. أهلا .. تفضلى يا آنسة ناهد .

جلست أمامه دون أن تتفوه بحرف واحد .. فقط تأملته للحظة، كما شاركها فيها التأمل .

كان شديد التأنق، تفوح منه وحوله رائحة عطر أخاذ تسلل إلى رئتيها فاستشعرته كالمخدر الذى يشتت الانتباه .

بشـرته تمـيل إلى لـون الاصـفرار الداكـن وقـد استقرت فوقها تجاعيد السنين فى شكل هالات وكأنها صفحات من تاريخ طويل مضى. نظرة عينيه حادة تكاد تشطر زجاج نظارته الطبية .. شعره كثيف وأملس غاب الشيب عن خصلاته بعد أن طمست الصبغة السوداء معالمه . و..

انتبهت لصوته وهو يقول :

ـ أنت شقيقة نجوى الكبرى .. أليس كذلك ؟!

أومأت برأسها دون تعليق .. فأردف قائلا :

ـ لقد ظلمتك نجوى وهى تصفك لىّ .. فجمالك يفوق كل الوصف . أقصد صورتك الحقيقية مختلفة عن توقعاتى .

بصعوبة بالغة استجمعت اتزانها وهى تقول :

ـ فى الحقيقة لقد جئت إلى حضرتك لكى ...

ولكنه قاطعها قائلا :

ـ أعـرف . لقـد جئتـنى لتناقشـينى فـى موضـوع نجـوى .. وأعـرف أيضـا أنـك ستبدين اعتراضك ورفضك للأمر كله .

و.. انشغل برهة عنها وهو يشعل سيجاره الغليظ. ثم عاد مسترسلاً :

ـ ولكـنى أريـد أن أسـألك أولاً مـا هـو سـبب اعتراضك .؟!

نظـرت إليه فـى بلاهـة وكأنهـا نسـت لأى سـبب حضرت إليه، ولم يسعفها غير مواصلته للحديث قائلا :

ـ لقـد كنـت واضـحا تمامـا معهـا .. عرضـت عليهـا الاتفاق ووافقت هى دون أية ضغوط .

استنفرت فضولها وهى تقول :

ـ وما الذى يدفعك لهذا ؟!

أجاب بهدوء شديد :

ـ الأسباب كثيرة .. من أهمها إننى اكتشفت بعد

رحلة العمر الطويلة أن الجميع يترقبون نهايتى ليرثونى.. لقد طفح النفاق من حولى لدرجة إحساسى بالاختناق .

- وأهلك .. وأقاربك .

نفث من سيجاره بعمق ثم أجاب :

ـ أنا أحدثك عن أقاربى .. لقد انشغلت بمشاريعى المتعددة ألهتنى طموحاتى عن أحلى أيام عمرى .. وفى النهاية وجدت نفسى وحيداً بلا أسرة تخصنى .. وما أقسى أن تشعرى بأن الجميع ينتظر نهايتك لكى يبدءون وحدهم مستقبلهم .. أن تتحول المشاعر من حولك إلى مشاعل لطريق الموت .

قالت بجرأة غير متوقعة :

ـ وما ذنب نجوى لكى تدفع ثمن جحود الآخرين!!

رمقها بنظرة سريعة ساخرة، ونهض متجها للنافذة .. لاحظت هى بدانة قوامه .. بينما واصل هو قائلا كما لو كان يحدث نفسه :

ـ أى ثمن سوف تدفعه شقيقتك .. و ..

التفت نحوها ثم أردف :

ـ تقصدين ثمن الملايين التى ستحصل عليها .. أم ثمن الفيلا التى تطل على النيل .. أم ثمن السيارات الفارهة .. أم كل مظاهر الثراء الذى لم تحلم به أى فتاة فى الدنيا .

اندفعت الدماء إلى وجهها خجلا .. و .. غيظا قبل أن تقول :

ـ الحب لا يشترى بالمال .!

ضحك بسخرية وهو يعود إلى مكتبه .. ثم قال :

ـ ومن قال إننى أريد شراء حبها .. فأنا لا أريد منها حبا لأننى بطبيعة الحال لن أحبها !!

قالت بانفعال واضح :

ـ هى صفقة إذن .

فاجأها بقوله الفاتر :

ـ نعم صفقة .. ومعروضة على الجميع .. إن لم تقبلها هى فسوف تقبلها غيرها .

همست بعد أن أحبطتها كلماته :

ـ هى صغيرة .. ولا يمكنها اتخاذ القرار المناسب لها.. كما أن نشأتها لا تسمح بقبول عرض مهين مثل هذا.

انسحبت البشاشة من فوق وجهه وبدأت أسارير الغضب تفترش ملامحه .. ثم رمقها بنظرة حادة قبل أن يقول بتعالى :

ـ أنصتى إلى جيدا يا آنسه ناهد .. أنا رجل أضعت عمرى فى الصفقات الرابحة وهو دليل على أننى لست أبلها أو أتصف بالغباء .. فلا داعى لترديد الشعارات أو التخفى وراء الأقنعة. نهضت ثائرة .. وقالت :

ـ نحن من أسرة محترمة. نشأنا على القيم والمبادئ ولا نسمح لأحد مهما كان شأنه أن يتهمنا بالتخفى وراء الأقنعة. و.. قاطعها بهدوء .. وهو يشير إليها بالجلوس مرة ثانية .. قائلا :

ـ انتظرى من فضلك فأنا لم أوضح مقصدى بعد .

جلست مستسلمة قبل أن يستطرد :

ـ لقد أخبرتك بأننى لا أتخذ قرارا إلا بعد دراسة الأمر جيدا .. ولهذا حرصت على معرفة تفاصيل كل شىء عن ظروفكم قبل أن يقع اختيارى على نجوى .

تململت قبل أن تتساءل :

ـ حديثك غامض .. وأنا لا أفهمك !!

قال وهو يحاصرها بنظراته ، وبدا كالذئب الذى يتأهب للانقضاض على فريسته :

ـ أعرف عن نجوى قدر طموحاتها الطاغية وأحلامها التى تناطح السحاب. أعرف عنها ولعها الشديد بمظاهر الرخاء وحبها للحياة كأى فتاة فى مثل عمرها ولكن واقعها يحول دون تحقيق أقل القليل من أحلامها. عرفت عنها إنها تحسن المقايضة وتزن الأمور بالمنطق بلا شعارات .. وذلك هو الشريان المشترك الذى يربط بيني وبينها ..

ـ أعتقد أن معلوماتك عن أختى غير صحيحة .

لم يعر لكلماتها اهتماما .. وواصل كلماته قائلا :

ـ كما عرفت عنك قصتك مع وحيد ذلك الشاب المسكين الذى تطحنه ظروفه كل يوم .. و.. أشفقت عليك وعلى جمالك من هذه السنوات الضائعة من عمرك .. والأهم من ذلك عرفت أنك تخفين تلك العلاقة عن الجميع حتى عن أختيك .

احتبست أنفاسها فى لحظة صمت جامدة .. كأنها ماتت فجأة .. وهى تنظر إليه فى ذهول .. بينما انهمك هو فى إشعال السيجار الثانى، ثم أردف من خلال ضباب الدخان مسترسلا :

ـ وأعرف أيضاً عن نشوى تفوقها الدراسى .. و.. علاقتها بمدحت المعيد بكليتها .. وبالمناسبة هو ابن عثمان بك متولى عضو مجلس الشعب .. ولى معه بعض المصالح بالمصادفة وأعتقد أنها ستواجه الكثير من الصعوبات من أجل تحقيق غايتها .. فكما تعلمين

الفارق بعيدا جدا بينهما، ولكنها هى أيضا أخفت عنكما تلك العلاقة . و..

وفجأة نهض بدون مقدمات متسائلا :

- والآن يا عزيزتى .. هل لديك أى استفسار ؟!

وبصعوبة بالغة نهضت والقهر يدوى فى صدرها، بعد أن أدركت بأن مدة اللقاء قد انتهت. وما كادت تستدير متأهبة للانصراف وهى صامته .. فوجئت به يردد قائلا كأنه يلمح لشىء ما :

- تذكرى يا آنسه ناهد .. أن العرض قائم لها .. أو لغيرها .

انصرفت دون أن تتفوه بكلمة واحدة .

وفى الطريق شعرت بقشعريرة عارمة تجتاح جسدها، تحسست صدرها بيدها وكأنها تتأكد من أنها ترتدى ملابسها .. إحساسها بالعرى سيطر على فكرها وراحت تتلفت حولها وكأنها تحاول الاختباء من عيون البشر كله التى ترصد كيانها العارى .. كانت تسير

وهـى تجـر خطواتهـا بصـعوبة وكأنهـا تحمـل خـزى العاهرات فوق كتفيها .. ونفاق السفهاء بين شفتيها وقهر الأشقياء فى مقلتيها .. ورائحة الوباء فى رئتيها.

بدت هائمة وشاردة .. خطواتها بلا طريق. بلا هدف ولا إدراك. وكأنها فقدت ذاكرتها فجأة .. فقدت كل الماضى والحاضر وأصبحت تعيش بلا غد قادم.

فقط صدى صوت الرجل مرددا .. العرض لها .. ولغيرها !!

همست إلى نفسها :

.. تراه يقصدنى .

.. هو على حق لكى يظن بى كل الظنون .. بل يظن بنا جميعا . يبدو أننا نتخفى وراء الأقنعة دون أن ندرى .. كيف سأواجه أخوتى لو علموا بما يعلم ذلك المتصيد .. أيمكن أن تكون مبادئى مجرد ستار أختبئ خلفه وأن تكون رحلة كفاحى ما هى إلا ذريعة أصبر بها على ظروفى .. أين أنا ومن أنا؟! .. أين الحقيقة فى

حياتى؟! .. الحقيقة أن أبى قد مات ومبادئه تنبض فى أعماقى .. و ..

أشارت للميكروباص ليقف لها .. ولكنه لم يفعل .. .. أريد أن أعود لمنزلى .

هل أنا قانعة حقا بحياتى .. لو كان حبى مشروعا فلماذا أخفيه .

أى تصرف بشع هذا الذى فعلته عندما صفعت نجوى على وجهها .. كيف ألومها وأنا أبطن مالا أظهر؟

حاولت صعود سلم الأتوبيس المزدحم .. وفشلت .. .. أريد أن أعود لمنزلى .

ما هذا الضباب الذى ملأ جفونى .. أنا أبكى .. أهى دموع الأقنعة أم دموعى؟!!.. أبكى لمن .. وعلى من!!

تعثرت وهى تحاول اللحاق بالأتوبيس الثانى .. سقطت بل تهاوت وفى لحظة احتشد الجمع حولها . يطلون برؤوسهم فوقها .. تخيلتهم جلادين الحياة جاءوا يضربونها بالسياط لأنها كذبت عليهم وعلى نفسها .

همستِ هذه المرة بصوت مسموع .

ـ أريد أن أعود لمنزلى .

استوقفوا لها سيارة أجرة .. اندلفت داخلها .. ولم تتحدث مع السائق .. انشغلت فى مراجعة النقود التى فى حوزتها .. اطمأنت قليلا عندما تأكدت أنها تكفي أجرة السيارة .

وقالت للسائق بثقة :

ـ لاظوغلى يا اسطى .



كالحلم .. كانت الأحداث تتوالى من حول ناهد وهى تراقبها دون التدخل فيها .. بل دون أن تحاول ذلك.

كأنها تطل على التاريخ من عالم آخر.. كأن حاضرها تحول إلى ماض بعيد تسترجعه فى ذاكرتها بصفتها أحداث مضت غير متواجدة فى واقعها الآن. الأحداث سريعة ومتلاحقة .. قاسية ومندفعة كالبركان الثائر.

كل شيء يتحرك من حولها، وهى ثابتة فى مكانها .. و.. سقطت أوراق التوت من فوق الأجساد .. كما سقطت الأقنعة .

لم تعد هناك ضرورة لإخفاء الحقيقة .

الجميع ظهر من وراء ستائر الأسرار. وكان

أجرأهم هو وحيد الذى وجد نفسه فجأة وسط حواراتهم وخلافاتهم بصفته زوج المستقبل لناهد .. واستأ سرت نجوى ببؤرة الاهتمام دون غيرها .

وبالرغم من ذلك لم تخصها ناهد إلا بكلمات قليلة قائلة :

ـ سوف تدفعين ثمن تهورك يا نجوى !!

ولكن التهور بالنسبة لنجوى كان له معنى ونتيجة أخرى غير التى كانت تقصدها ناهد.

شعرت وكأنها انتقلت من عالم إلى عالم آخر. عالم بلا ماضى ولا ذكريات أليمة .. دنيا سقطت من قاموسها كلمة الحرمان .. دنيا توارت فيها الأحلام وأصبح كل ما يحيط بها هو حقيقة واقعة. تبدل الخوف إلى ثقة والاحتياج إلى ترفيه والضعف إلى قوة .. ومن الانكسار إلى الانبهار.

تعلمت قيادة السيارات وقادت أحدث موديلاتها. ارتدت أفخم الثياب وتحلت بأثمن المجوهرات .. ركبت

الطائرة وطافت حول العالم . تعطرت بأرقى العطور .. تذوقت طعام غير الطعام التى كانت تعرفه .. سمعت ورأت ما لم تسمعه وتراه من قبل عرفت طريق النوادى الرياضية .. و .. الليلية .

أصبح عادل الخولى بالنسبة لها النافذة السحرية التى تطل من خلالها على عالمها الجديد. عالم فصوله كلها ربيعية لا زمهرير فيها ولا أمطار وأعاصير .. ليله أكثر دفئا من نهاره وشمسه أكثر سحرا من قمره .

أما ناهد فلا تزال تقف ثابتة فى مكانها .. فقط تراقب الأحداث من بعيد، لأنها لا تملك غير ذلك. وكأن الأرض التى تقف فوقها محدودة. لا تسمح لخطواتها بالخطى إلا ما يقرره واقعها، تعيش وسط دائرة صلبة المحيط تدور بداخلها وهى تحمل فى أعماقها أثقال الاحتياجات الحياتية واليومية ... مصاريف المواصلات، وأقساط الجمعيات .. و .. هموم وحيد .

حاولت أن تشد من أزرها أثناء لقائها به قائلة :

ـ اصبر يا وحيد .. لقد صبرنا أنا وأنت كثيرا وسيأتى يوما وتضحك لنا الأيام حتما.

ترقرقت ابتسامه باهته على طرف شفتيه قبل أن يقول :

ـ الصبر.. الصبر.. هذه الكلمة باتت بلا معنى. أمى تقوس ظهرها من طول فترة جلستها وراء ماكينة الخياطة .. وأبى يئن عجزا وعذابا بلا حول ولا قوة .. وأنا لا أملك غير متابعتها فى صمت .. غير قادر أن أحمل عن أمى شقائها .. وغير قادر لأن أخفف عن أبى آلامه .. أصبحت غير قادر على أى شىء .. حتى من أجلنا أنا وأنت .. ثم تتحدثين عن الصبر.

توقفت عن السير بجانبه وتقدمت بخطوة لتكون فى مواجهته .. ثم دققت النظر إلى عينيه قائلة :

ـ لا يا وحيد .. أرجوك لا تجعل اليأس ينال منك.

زاغ ببصره عنها وتجاوزها لكى يدفعها للسير مرة أخرى .. ثم أجاب :

ـ هل لديك حل؟ .. لم أعد أعرف أين الحقيقة؟ .. حتى الفرق بين الصواب والخطأ .. و..

جلسا متجاورين فوق أحد أرائك الحديقة العامة .. ثم التفت إليها مسترسلا :

ـ يبدو أن رحلتنا مع هذا الواقع المرير ستطول كثيرا .

قالت بثقة :

ـ المهم أننا نصل فى النهاية .

عادت إلى شفتيه الابتسامة الباهتة قبل أن يقول :

ـ غيرنا كان أكثر ذكاءا .. واختصر الطريق .

رمقته بنظرة متشككة .. ثم تساءلت :

ـ ماذا تقصد ؟

أدار رأسه فى اتجاه آخر غير مواجهتها .. وردد كأنه يحدث نفسه :

ـ لا شيء .. لا أقصد شيئا .

أسرعت قائلة بحدة :

ـ لا تحاول أن تكون غامضا .. فأنا أدرك ما تعنيه جيدا .. فأنت تقصد موقف نجوى .. أليس كذلك؟!!

لم يحرك شفتيه بكلمة .. فأردفت قائلة :

ـ نجوى اختارت حياتها وهى المسئولة عن اختيارها .. وأنا وأنت أيضا اخترنا حياتنا بإرادتنا والفارق بين الاختيارين بعيد جدا .. الحياة ليست مظاهر للترفيه فقط .. الحياة معنى .. ومعنى جميل يجب أن نعيشه بحلوه ومره .

أجاب ساخراً :

ـ على كل حال نحن اعتدنا على حلاوة المرارة .. ولا نملك غير ذلك .

نهضت متجهمة .. قائلة :

ـ أنت اليوم لست وحيد الذى أعرفه .. يبدو أن

ضغوط الحياة أثرت فيك كثيرا .. ولك عذرك .. ولكن أرجو ألا تدع اليأس يتسرب إليك .. وإلا أضعت من عمرنا أحلى أمل فى حياتنا .

سار بجوارها مرة ثانية .. ومضت لحظات صمت تبطن توترها قبل أن يهمس قائلا :

ـ إلى أين ستذهبين الآن؟.

أحست بأنه يرغب فى الانصراف .. فأجابت بكبرياء:

ـ سأعود إلى بيتى .. فاليوم عطلة كما تعرف وأحب أن أسترخى بعيدا عن ضجيج الضوضاء الذى حولنا .. وفى داخلنا .

و.. تركت وحيد .. وحيدا .

وكأن الغم واليأس قد فرضا سطوتهما عليه .. فشلا تفكيره وخطواته .. لم يلحق بها، بل لم يحاول أن يفعل ذلك .

فقط سار هائما يقطع الطريق تلو الطريق بلا

هدف .. شاردا مع أفكار مشتتة وهواجس محبطة .. ما بين صورة أبيه القعيد وأمه الهزيلة .. وتارة أخرى تقفز إلى مخيلته ملامح ناهد البريئة وهى تخفى ورائها تجاعيد الشقاء وقهر الفقراء .

وكأن يد الشيطان قد أزاحت من أمامه فجأة ستار الأمان والرضى وكشف عن واقع يتأجج بشاعة وتمرد .

همس إلى نفسه فى حيرة .

.. إلى أين .؟!!

إلى أين تمضى بى الأيام .. لقد حاولت كثيرا .. كافحت وقاومت وطرقت كل الأبواب .. ماذا أفعل يا ربى؟!! .. طحنتنى نظرات أبى اليائسة .. وقهرتنى حالة أمى البائسة .. و .. ناهد حبيبة العمر التى تضع كل آمالها فى طريقى .. فى انتظار بارقة أمل .. ماذا أفعل .. والحب بات فى عالمنا عالة على القلوب!! .. أصبح الحب قيدا يكبل الخطى والأمانى .. وكأننا نهوى

لنتهاوى، ونعشق لنشقى .. نحلم بكوابيس الليل، ونستيقظ عُمى كوطاويط النهار. كأن السراب هو الحقيقة الوحيدة التى فى حياتنا .. ننتظر الأمل المفقود.. أصبحت الأرض كظهر القنفذ . نسير فوق أشواكها حفاة .. و.. عراة .

توقف عن السير فجأة، وتلفت حوله بلا تركيز.. وردد:

.. لابد من إيجاد وسيلة تنقذنا من هذا الواقع المرير.

و.. تحرك بخطي ثابتة وكأنه قد اتخذ قرارا لا رجعة فيه .. أو كأنه اكتشف الطريق إلى تحقيق الوسيلة .

توقف لحظات أمام كشك الاتصالات، وراح يعبث بأوراق صغيرة استخرجها من جيبه، والتقط إحداها. وأدار قرص التليفون بلا تردد . وقال :

ـ نجوى .. أنا وحيد : أريدك فى موضوع هام .. هل يمكنني أن ألقاك .

جاءه صوتها من التليفون . قائلة :

ـ طبعا يا وحيد ممكن .. هل حدث مكروه لناهد ؟

أسرع قائلا بلهفة :

ـ لا أبدا .. ناهد بخير. و..

تردد لحظة قبل أن يردف قائلا :

ـ وأرجو ألا تعرف شيئا عن هذه المكالمة .

ـ إذن .. انتظرنى بعد ساعة فى بهو فندق رمسيس هيلتون .. و. أنهت المكالمة .

دارت به الدنيا فجأة .. أسقطته المفاجأة فى أعماق حيرته. وكأنه أدرك لحظتها هول ما فعله بنفسه عندما قرر أن يتحدث مع نجوى عاد يهمس إلى نفسه مذهولا ..

رمسيس هيلتون !! كيف ؟

تفحص ملابسه وحذاؤه .. تحسس جيبه يبحث عن معجزة تسهل عليه الذهاب إلى هذا المكان .. فكر لحظة أن يعيد المكالمة ويعتذر.

شـرد بذهـنه .. مـاذا لـو طلبـت نجـوى بعـض المشروبات أو تهورت وطلبت غذاء؟! .. حتما سيكون مصيره قسم الشرطة .

نظـر إلى سـاعة يـده.، مضـى عشـرة دقـائق مـن السـاعة .. الـباقي مـن الـزمن يسـمح بـأن يذهـب إلى الفندق سيرا على قدميه .

وسار بخطى رياضية .

وقف متوترا وهو يتابع دخول وخروج المجموعات مـن بوابـة الفـندق وكأنـه يـتأكد مـن الطـريقة الـتى سيتبعها أثناء مروره من البوابة .. حبات العرق تتقافز من مسام جلده وهو لا يدرى إن كان ذلك من إرهاق السير أم .. رهبة من الموقف .

وأخيرا استجمع جرأته وقرر المجازفة والمخاطرة، ودخل إلى بهو الفندق تلفت حوله دون أن يري شيئا.. حاول أن يبدو طبيعيا ولكنه فشل .. لا يتقدم بخطوة ولا يتقهقر.. و..

استدار مفزوعا عندما سمع من يردد اسمه..

أهلا يا وحيد هل تأخرت عليك .

وقبل أن يجيبها .. تجاوزته وسارت إلى حيث قررت الجلوس وهو يتبعها صامتا كالموظف المستجد .

جلسا متقابلين فى أحد الأركان .. وبادرته قائلة:

ـ هه .. كيف حالك يا وحيد !

أجاب كالتلميذ المطيع :

ـ الحمد لله .. أنا بخير.

لاحظت توتره .. فصمتت للحظات .

كل منهما تأمل الآخر.

راح يختلس النظر إليها . . بهرته اللآلئ التى تتلألأ حول عنقها ومعصميها .. أنفاسه تحولت إلى شهيق فقط من روعة ونفاذ عطرها .. قارن بين ملابسها فى الماضى وبين اليوم، وأدرك أن المقارنة ظالمة ..

فالتايور السماوى الذى ترتديه، كيف تبادل موقعه مع "الجوب" المتهدل والذى أصابه الوهن من كثرة ارتداؤه .

وهي أيضا تأملته ..

وكأنها تراه للمرة الأولى .. قارنت بين العضلات البارزة والمنكبين العريضين وبين جسد عادل الخولى الممتلئ والمتهدل .. قارنت بين بريق الشباب الذى يشع من عينيه وبين جفون زوجها المنكسرة وراء نظارته الطبية السميكة. وأدركت هى أيضا أن المقارنة ظالمة .. الفرق كبير بين نسمات الربيع وبين لفحات الخريف .

عادت تسأله :

ـ ما هى أخبارك يا وحيد؟!!

أجاب بلا تردد :

ـ لازلت حيًّا .

ابتسمت بدلال قبل أن تقول :

ـ إذن ما هى أخبار حياتك؟!

- أتنفس .. ولكنى لا أعيش .. فحياتى باتت كالحلقة المغلقة أدور فى داخلها بلا أى بارقة أمل للتقدم .

- ما كل هذا اليأس يا وحيد .. هل بينك وبين ناهد مشكلة ؟

أجاب بسرعة :

- لا . لا .. بالعكس أنا وناهد على خير وئام .. المشكلة فى الظروف التى تحيط بنا .. فأنا مسئولياتي كثيرة وإمكانياتى كما تعلمى محدودة .. و .. ناهد تحملت وصبرت كثيرا من أجلى على أمل أن تتغير الظروف ونستطيع أن نحقق حلمنا القديم . ولكن ..

قاطعته قائلة بصدق :

- ناهد أختى إنسانة عظيمة .. لها قلب عطوف وحنون .. يكفى إنها تولت رعايتنا أنا ونشوى وكانت بالنسبة لنا الأب والأم دون كلل أو تذمر .

ابتهجت أساريره .. وقال :

ـ نعم هذه حقيقة .. فناهد إنسانة كالملاك لا مثيل لها على الأرض. ولو هناك فتاة أخرى غيرها فى مثل جمالها البارع وطبيعتها الرومانسية الرائعة لما كانت تحملت مثلها هذا الشظف والشقاء .. ولكن ناهد ضحت بالكثير من أجل حبنا ولازالت تضحى من أجل هذا الحب .

تفحصته بنظرة جريئة .. ثم همست :

ـ وأنت أيضا يا وحيد .

تساءل فى بلاهة :

ـ وأنا أيضا .. ماذا ؟!!

أردفت وهى تتأمله :

ـ شاب فى قوتك ووسامتك كان من الممكن أن تتغير حياته تماما.

تلفت حوله بطريقة لا إرادية، وكأنه يهرب من نظرتها .. أو يبحث عن هذا الشاب الذى تتحدث عنه نجوى.

وقبل أن يعود بنظرته إليها .. فاجأته قائلة :

ـ ما رأيك .. نطلب طعام الغذاء الآن .!

كأنه ابتلع جمرة نار فجأة .. وصاح فزعا :

ـ لا . لا أرجوك .

مالت برأسها قليلا إلى كتفها وهى تنظر إليه بدهشة لذلك التصرف فاستعاد هدوءه .. وقال :

ـ أقصد لا داعى للغذاء .. لأننى للأسف مرتبط بموعد مع أحد الأشخاص .

لم يكن من الصعب عليها أن تدرك سبب هلعه المفاجئ .. فقالت :

ـ هل ترفض دعوتى لك على الغذاء ؟!

ـ لا أبدا .. ولكنى ..

قاطعته قائلة :

ـ على كل حال أنا تحت أمرك .. وكلى آذان صاغية .. أخبرنى ما سبب اتصالك بى .

اهتزت أهداب جفونه، وكأنه تذكر فجأة لماذا اتصل بها .. أو حاول أن يتذكر .. ثم قال باستحياء لا يتناسب مع بنيانه القوى .. ولا مع عضلاته البارزة :

ـ جئت أستفسر منك عن أمر .. وتأكدى أنه لن يترك أى أثر إذا لم يتحقق مرادى .

رددت بثقة :

ـ كل شىء لك مجاب .. فأخبرنى دون تردد .

تملكته حالة من التلعثم وهو يقول :

ـ فى الحقيقة .. أنا .. فى الحقيقة كنت أسألك هل بإمكانك توفير عمل إضافى لى فى المساء عند زوجك؟.. أقصد فى إحدى شركات عادل بك .

انتابتها نوبة من الضحك .. وراحت تقهقه بصوت مرتفع مما لفت أنظار من حولهما .. ثم تماسكت بصعوبة .. وقالت :

ـ يا أخى جعلتنى أتصور أن فى الأمر مأساة .. ما هذا الذى تقوله ؟!!

طبعا يمكنني .. وسأطلب من عادل بمجرد عودته من الخارج أن يلحقك فى وظيفة تناسبك . و..

وعادت تتأمله للحظات .. ثم أردفت بتلميح مقصود :

ـ وتناسب إمكانياتك .

أسقط نظره إلى الأرض خجلا، وكأنه يلوم نفسه على حماقته عندما طلب منها التوسط عند زوجها .

وضعت ساق فوق الأخرى ، وكأنها قررت أن تكشف عن نواياها بعد أن كشفت الكثير عن ساقيها أمامه .. ثم قالت بحزم وجرأه :

ـ الإنسان الذكى يا وحيد هو الذى يغتنم الفرص التى تأتيه دون تردد .. أما الغبى هو الذى يتستر وراء الشعارات الواهية والتى لا تملك تغيير الواقع .

اختل توازن مقلتيه وهو حائر بين النظر إليها وجهها وبين ما كشفت عنه .. ثم تساءل بسذاجة :

ـ يا ترى .. أنا أيهما فى نظرك !!

أجابت وكأنها تلقى محاضرة :

ـ أنا أحب الوضوح .. ولذلك سأكون معك صريحة وواضحة .

استجمع كل تركيزه، وهو ينصت إليها باهتمام بالغ .. حاول أن يعلق بأى شىء .. ولكنها لم تتح له الفرصة واستطردت قائلة :

ـ الواقع يقول: إن الحياة قائمة على المقايضة .. بقدر ما تملك تأخذ .. والذى لا يملك لا يحق له أن يطلب. و..

اعتدلت فى جلستها وهى تدقق النظر إلى عينيه.. ثم واصلت قائلة :

ـ عادل زوجى مثلا .. يملك المال ولا يملك الشباب.. وأنت تملك الشباب ولا تملك المال .

أومأ برأسه مدعيا فهمها .. ولكنه فى الحقيقة

كان كالغائب عن الوعى لا يعرف شيئا عما يدور حوله. وبالرغم من ذلك استطاع أن يهمس قائلا :

ـ طبعا .. طبعا .

لم تعر لكلماته اهتماما .. واسترسلت :

ـ أنا عندى استراحة ريفية عند مشارف القاهرة. دائما أتردد عليها عندما أشعر بالملل، وأصبح فى حاجة لكى أنفرد بنفسى بعيدا عن ضوضاء القاهرة .

همس مرة ثانية كالمسحور :

ـ عندك حق .. ضوضاء القاهرة أصبح مزعجا .

رمقته بنظرة ماكرة .. وقالت بنبرة آمرة :

ـ سأبرم معك مقايضة .. لك أن تقبلها أو ترفضها.

ردد فى وجوم :

ـ مقايضة !!

لاحقته قائلة :

ـ نعم .. سأمنحك ما تحتاجه مقابل أن أحصل منك على ما أحتاجه، وبهذه الطريقة ستحل كل المشاكل .. مشكلتى .. ومشكلتك أنت وناهد .

فجأة اندفعت الدماء بقوة إلى رأسه، وتصلبت نظرته نحوها بعد أن ارتسمت ملامح الذهول على وجهه .. ثم قال :

ـ ما الذى تقولينه يا نجوى؟! .. أنا! ..

قاطعته من جديد .. وقالت :

ـ لا تندهش هكذا .. فما قلته مجرد مقايضة واضحة .. ولك حق رفضها أو قبولها .. ولكن .. فكر جيدا أولا قبل أن تتخذ قرارك وتذكر أن هناك العشرات الذين يتلهفون على مقايضة مثل هذه .. أما إذا كنت من أصحاب الشعارات فحل مشكلتك ليس عندى .

أجاب بحزم :

ـ لم أكن أتصور أنك ..

اقتحمت كلماته بطريقة سافرة .. وقالت :

ـ عادل سيعود من باريس بعد أسبوع .. وسأنتظر قبول دعوتى لك على الغذاء .. فى استراحتى .. وأرجو ألا يطول انتظارى .. أو تفوتك فرصة المقايضة .

وقبل أن يتفوه بحرف واحد .. رددت وهى تتأهب للنهوض :

ـ سأنصرف أنا أولا .. ثم ..

ولكنه قاطعها بلا إرادة :

ـ لا .. سأنصرف أنا أولا .. و ..

نهض مسرعا إلى خارج الفندق دون أن يودعها .

كانت خطواته أقرب للعدو، وكأنه تخيل أن الجلوس فى مثل هذه الأماكن يكون بمقابل مادى حتى دون أن يطلب شيئا .. راح يندس وسط المارة وكأنه يخفى نفسه عن عيون الشرطة بعد أن ارتكب جريمة شنعاء .. يخفى نفسه عن نفسه .. عن أشياء كثيرة .. عن نشأته وضميره، عن حبه ومصيره .. عن لهفة الحرمان .. عن الشيطان .. و .. اختفى وسط الغرباء .



كان صباحا غير مألوف لناهد بعد أن رفضت ظلمة الليل أن ترحل عن صدرها، إحساس بالانقباض فرض سيطرته على وجدانها وهى تسير فى داخل أروقة المحكمة متجهة إلى مكتبها .

هاجمها شعور بالدهشة .. والفزع . عندما استقبلتها إحدى زميلاتها من أمينات السر وبادرتها بلهفة:

ـ أسرعى يا ناهد .. فسيادة المستشار يطلبك وهو ثائر.

هرولت إلى مكتب المستشار قبل أن تدخل مكتبها .. فوجئت بالوجوم ونظرات الإشفاق فى عيون مجموعة السكرتارية .

وبمجرد دخولها إلى مكتب رئيس المحكمة بدأت ملامح الكابوس تفترش وجهها قبل صدرها .

مصيبة سقطت فوقها وأمامها فاجأه .. حدث بعيد تماما عن كل التوقعات ولا يتناسب مع تقاريرها الوظيفية التى كانت دائما تفخر بامتيازها .

فاجأها المستشار بأن مستندا هاما قد اختفى من ملف إحدى القضايا التى فى حوزتها .. التهمة تؤدى إلى السجن بلا جدال .. رددت بصدق .. أنا مظلومة .

دافعت عن نفسها وعن أمانتها .. عددت سيرتها الحسنة طوال فترة عملها .. أفصحت عن بعض المحاولات الفاشلة التى كانت تتعرض لها من أجل أن تخون الأمانة مقابل آلاف الجنيهات ولكن أخلاقها ومبادئها كانت حصنا قويا حماها من كل المغريات .. بكت .. وصرخت .

ـ أنا مظلومة .

تحولت للتحقيق .. وباتت لياليها طعاما شهيا لكوابيس القهر والظلم والانكسار .

الشفاعة نفسها كانت مغلفة بالقسوة البالغة .. الإشفاق عليها كان فى صورة الذبح برفق .. الرحمة تمثلت فى أن يتركوها وحيدة على طريق مظلم بلا نهاية .. إلى المجهول .

العطف والتقدير جاء فى كلمات المحقق بإيجاز :

.. نحن راعينا مسيرتك وسيرتك الحسنة .. واكتفينا بفصلك فقط .

فما أقسى أن ترتدى العدالة ثوب الجلاد ..!!

تاهت داخل أعماقها وهى تردد أثناء وجودها وحيدة فى شقتها .

.. أين الحقيقة؟! أين الصواب من الخطأ؟! .. و.. أين النور من الظلام ؟!

اختلت المعايير فى ذهنها .

أمن الممكن أن تصبح نجوى التى قايضت بشبابها مقابل المال أن تكون هى الأذكى وهى الأسرع

لاكتشاف الحقيقة .. أن تكون نجوى هى الأصدق والأفلح فى اختياراتها بالرغم من تصديها لقوانين الطبيعة وتحديها لأحكام الزمن؟!! .. هل هى الأكثر خبرة منى واستثمرت حرمانها وعرضته فى صفقة مثيرة ورابحة لتشترى بقيمته كل ما ترغبه وتتمناه .

ونشوى الصغيرة هل كانت هى أيضا أكثر حكمة مني وأكثر فراسة لإدراك مفاتيح الواقع واستقطابه لصالحها؟!

هل شقيقتى نشوى سلكت أقصر الطرق لتحقيق أحلامها بزواجها من مدحت وانتقالها إلى عالم غريب عنها تحكمه مظاهر الأرستقراطية الزائفة؟! .. هل كانت محقه عندما أعلنت صراحة بأن السلطة فوق الحق؟!

هل أدركت بفطرتها أن السلطة فى أى مكان هى كلمة السر التى تفتح لها كل الأبواب المغلقة؟! وهى الفانوس السحرى الذى يضىء ظلام الواقع مهما كان قاتما .. هل لازالت مقتنعة بقرارها بالرغم من شكواها

المستترة من تعالى أسرة مدحت عليها وطريقة تعاملهم معها المهينة بالرغم من أنها تعمل معيدة فى الكلية مثل زوجها؟! .. هل نفوذ والد مدحت يساوى تقبلها بانكسار للتلميحات الجارحة من أسرة زوجها تارة بأنها لا تفهم فى الاتيكيت والحياة الاجتماعية الراقية، ويتحتم عليها الاختفاء فى وجود الآخرين؟! .. وتارة أخرى تتحمل النظرات الساخرة المسلطة عليها وهى تجلس وسطهم أثناء طعام الغذاء وكأنها حيوان نادر أتوا به من الغابات .. فهى بالإضافة لفقرها تفتقد لأمور كثيرة .. ولكنهم فى النهاية رضخوا لرغبة ابنهم فى الزواج منها. هل كان المقابل عادلا ؟!

نهضت نحو النافذة .. أدارت عينيها تبحث عن أى شىء ثم عادت لتسبح فى حيرتها مرددة :

.. أين الحقيقة ؟!

هل حبات عرق الكفاح، ودموع الجراح أصبحا يمثلان وجهين لعملة نادرة لا يقبلها الواقع الآن .. للشراء أو للبيع .

وأصبحت قلة الحيلة تثير الاشمئزاز بدلا من الشفقة .. والتمسك بالمبادئ والانتماء هو درب من دروب الجهل واللاوعى .

هل أنا واهمة ؟!

سؤال لم تجد له إجابة طوال لياليها الغير مقمرة .

كان عليها أن تبحث عمن يساندها، من يلقى إليها بطوق النجاة لينقذها من غياهب الحيرة .

عن أنيسها، وملاذها الوحيد .. عن وحيد .

ولكن الواقع كان له كلمة أخرى .. وقرار آخر. عندما قررت فى اليوم التالى أن تذهب لمقر عمل وحيد لتسأل عنه بعد اختفاءه المفاجئ لما يقرب من شهر.

أفزعتها كلمات زميله فى العمل وهو يخبرها قائلا :

ـ الأستاذ وحيد حصل على أجازه طويلة بدون مرتب . همست إلى نفسها بحسرة :

.. مسكين وحيد .. لابد وأن المرض اشتد على أبيه فقرر ملازمته حتى يبرأ .

استجمعت شجاعتها قبل رغبتها وقررت أن تذهب إلى منزل والده تواسيه، فلا بد وأنه فى حاجة إلى وجودها بجانبه. وصلت إلى البناء الذى يسكن فيه وحيد مع أسرته فى أحد طوابقه المتهالكة. اضطرت للوقوف أمام البوابة لعدة لحظات عندما هبطا من سيارة نصف نقل صغيره رجلين يحملان كرسى متحرك جديد وإمكانياته تفصح عن أنه مرتفع الثمن .

بدأت تصعد الدرج خلف الرجلين إلى أن وصل الجميع لطابق شقة وحيد .. الباب مفتوح عن آخره، ورائحة الطلاء تنبعث من داخله بقوه. وفجأة ظهرت امرأة تجاوزت الستين بقليل وأشارت إلى حاملى الكرسى قائلة :

ـ ضعا الكرسى فى هذا الجانب الآن .. فعمال الطلاء يشغلون المكان كله .

نفذ الرجلان ما أمرتهما به المرأة .. وانصرفا بينما سكنت ناهد تراقب الأحداث بعدما تلاشت عندها رهبة الموقف .

و.. انتبهت المرأة لوجود ناهد فبادرتها بطيبة :

ـ أى خدمة يا ابنتى .

ابتلعت الهواء الجاف فى حلقها قبل أن تجيب قائلة :

ـ أليست هذه شقة الأستاذ وحيد ؟!

أجابت السيدة بلهفة :

ـ نعم هى .. ماذا حدث لابنى ؟

ارتجفت شفتيها قبل أن تقول :

ـ لا شىء .. أنا جئت فقط أسأل عنه .

باغتتها الأم متساءله :

ـ من أنت ؟!

ـ أنا .. أنا ناهد . و..

لاحقتها مرددة :

ـ أنت ناهد .. أهلا يا ابنتى تفضلى .. تفضلى يا ابنتى.

وأفسحت لها الطريق لتدخل إلى الصالة الصغيرة المزدحمة بعمال الطلاء .. ثم أشارت إليها لتتبعها إلى غرفة جانبية وهى تقول :

ـ سامحينا يا ابنتى بأن تكون زيارتك الأولى لنا . والشقة فى حالة تجديدات كاملة. والأثاث كما ترين غير مرتب .

حاولت أن تبتسم مجاملة ولكنها فشلت .

بينما استطردت الأم وهى تجلسها فى غرفة لا يوجد بها غير مقعد واحد وبلا أى أثاث:

ـ الأثاث الجديد سيصل غدا .. أنت إذن ناهد . فكثيرا ما حدثنى عنك ابنى وحيد .. حقا جميلة بل أجمل من وصفه لك .

اطمأنت قليلا وهى تهمس :

ـ أشكرك .. يا أمى . فى الحقيقة ـ

قاطعتها بطيبة وعفوية شديدة :

ـ لقد وحشنى وحيد جدا .. فمنذ حصوله على عمله الجديد وهو كثير السفر .. أصبحت لا أراه غير مرة كل أسبوعين تقريبا

همهمت بنبرة مكتومة :

ـ عمله الجديد !!

ـ ألم يخبرك بأنه التحق بعمل آخر !!

وقبل أن تتفوه بحرف واحد أردفت الأم مسترسلة:

ـ مسكين وحيد .. لقد ضحى باستقراره بيننا لكى يوفر لنا احتياجات معيشتنا وتكاليف علاج والده .

نهضت وهى تضم شفتيها فى أسى .. ثم قالت بتأدب :

ـ إنشاء الله سيعود سريعا .. فوحيد إنسان لا مثيل له .

رددت خلفها وهى تودعها :

ـ وأنتِ أيضاً يا ابنتى .. بنت الأصول لا يصعب التعرف عليها .

هبطت درجات السلم وهى تقاوم رغبة جامحة للبكاء .. ولكنها فشلت واستسلمت للدموع بمجرد انطلاقها على الطريق .

واختفت معالم الأشياء أمام عينيها الدامعة . وتوقف تفكيرها عند معنى واحد راحت ترردده فى صمت :

.. يا حبيبى يا وحيد .. كم تتحمل من العذاب والشقاء لأجلنا؟! .. وكم أشتاق إليك يا أغلى الناس؟! .



كان صباحا مشرقا، نسماته رقيقة تحمل فى طياتها عطر التفاؤل والأمل. وكأن طيور الدنيا راحت تغرد فى سيمفونية متجانسة .

لحظة عودة نشوى إلى منزل والدها لتسأل عن شقيقتها ناهد. كان لقاءا هستيريا .. اختلطت فيه القبلات مع الدموع، الصيحات مع الآهات. الثرثرة وصمت التأمل .

ـ وحشتينى يا أختى كثيرا .. ويعلم الله كيف كنت أعانى من شدة الاشتياق إليك !

مسحت ناهد دمعتها بأطراف أصابعها .. ثم قالت بحنان :

ـ كيف هانت عليك أختك يا نشوى! .. أ لهذه

الدرجـة شـغلتك حـياتك عـنى؟! .. أتعـلمين كـم طـال غيابك؟!

ـ عـندك كل الحـق يـا حـبيبـتى .. ولكـن .. عـندما تعلمين ظروفى ستشفقين علىّ.

اضطربت بصدق وهى تسألها :

ـ ماذا بك يا نشوى .. ألست سعيدة فى حياتك؟

ابتسمت بسخرية وأجابت :

ـ لسـت أدرى مـاذا أقـول لـك .. فالأمـر محـير بالفعل .. مدحت لا يبخل على بشىء . ولا توجد مشكلة بينى وبينه أو بين عائلته. فإقامتى معهم هادئة، وكل احتياجاتى متوفرة .. و..

قاطعتها باندهاش متسائلة :

ـ إذن ما الذى يقلقك ؟!

أطلقت تنهيدة من صدرها قبل أن تجيب :

ـ المشكلة تكمـن عـندى .. فأنـا لا أشـعر بكـيانى

وأصبحت ملامحى مشوشة، فى بعض الأحيان أشعر وكأنى قطعة أثاث إضافية داخل المنزل .. لا رأى ولا قرار لى .. دائما يتملكنى إحساس بالخوف .

رددت ناهد وهى فى ذهولها :

ـ الخوف .. مما تخافين ؟!

ـ أخاف من الخطأ .. أخشى مشاركتهم فى الحوار حتى لا تنفلت منى كلمة تثير امتعاض الجميع .. أشعر بخطواتى وبلفتاتى وهمساتي كلها تحت مرصادهم . أخشى مجرد الاعتراض على كثرة علاقات مدحت الطبيعية وغير الطبيعية فتكون النتيجة على غير ما أحب أو أهوى. وكأن دورى بينهم هو الإنصات إليهم فقط .. و ..

فاجأتها بتغير محور الحديث قائلة :

ـ لا عليك يا حبيبتى .. المهم ما أخبارك أنت؟

وكأنها تهرب من الإجابة .. وسألتها بهمس :

ـ هل نجوى على اتصال بك ؟

نهضت نشوى وهى تستبدل مجلسها بمقعد آخر. ثم أجابت وهى تبتسم :

ـ نجوى دائما كانت تدرك ماذا تريد .. ولهذا فهى صاحبة القرار.. والاختيار. فحسب معلوماتى منها إنها سعيدة فى حياتها .. ولا شىء يقلقها سوى تنوع أسلوب القضاء على وقت الفراغ .. فهى كثيرة الرحلات .. والاختفاء أيضا .

اغرورقت عينيها وهى تسألها من جديد :

ـ ألم تأتى لزيارتك يوما؟! .. أو أنتِ ألم تذهبى إليها ؟!!

ضحكت دون افتعال ثم قالت :

ـ ألم أقل لك إنها مشغولة .. تصورى إننى أصبحت أتابع أخبار زوجها أكثر من أخبارها .. فاسم زوجها يتردد كثيرا عندنا ويبدو أنه على علاقة وطيدة بينه وبين والد مدحت .

و.. صمتت لحظة .. ثم أردفت :

ـ وفى الحقيقة اشتم رائحة الرشاوى والسمسرة فى هذه العلاقة وأيقنت كيف تأتى الملايين من الهواء .

ـ ولكنها أموال ملوثة .. وحرام .

وهنا لم تستطع نشوى أن تتمالك نفسها، وراحت تقهقه فى نوبة ضحك متواصلة لم تقو على السيطرة عليها إلا بعد أن لاحظت وجوم شقيقتها .. فتماسكت بصعوبة وهى تقول :

ـ أنتِ كما أنت يا ناهد . لم ولن تتغيرى . ليت كل البشر مثلك فأنتِ تستمدين قوتك من قناعتك ورضى نفسك وطيبة قلبك .

ـ وهل هناك أفضل من ذلك؟! نعم أنا مقتنعة بذلك .. فالسعادة والقوة فى رضى النفس والاعتزاز بمبادئها .

نهضت مرة أخرى ولم تجلس .. ثم رددت بحسرة :

ـ للأسف يا ناهد. الواقع له رأى آخر. السعادة لا تأتى طواعية ولكنها تؤخذ بالقوة .. أى قوة .. إما بالمال أو بالسلطان .. أو .. ولكنها توقفت عندما بادرتها قائلة:

ـ إذا كان الأمر كذلك .. فلماذا أنت غير سعيدة ؟

أجابت بلا تردد :

ـ لأننى أعيش وسط القوة .. ولكنى لا أملكها .

رمقتها بنظرة ملؤها الحب والعطف .. ثم قالت بهدوء :

ـ أشعر بحديثك هذا بأن وراءه سبب آخر .

اقتربت منها وهى تبادلها نظرة الحب، ثم جلست بجوارها وتناولت يدها برفق بين كفيها .. ثم همست بتوتر :

ـ فعلا يا أختى الحبيبة فأنا تعمدت أمهد لك بحديثى هذا .. لكى أعرض عليك أمر ما .

سحبت يدها بتوجس وهى تتساءل :

ـ أى أمر يا نشوى !!

أسقطت نظرتها إلى الأرض قبل أن تقول :

ـ منذ أيام سألت عنك فى مقر عملك .. وعلمت بما حدث لك.

زاغت ببصرها بعيدا عنها، وكأنها تبحث عن مكان تختبئ فيه .. ثم التفتت إليها وهى تستجمع كبرياؤها قائلة :

ـ سأجد عملا مناسبا قريبا .. ثم إن وحيد أيضا التحق بعمل جديد سيوفر لنا حياة مستقرة .

قالت بإلحاح أقرب للتوسل :

ـ أرجوك يا ناهد لا ترفضى مطلبى .. !

ـ أى مطلب تقصدين ؟

فركت أصابع يديها بتوتر وارتباك واضح قبل أن تجيب قائلة :

ـ لقد أخبرت مدحت بما حدث فأبلغ والده الذى

أصر على ذهابك إليه فى مكتبه .. ووعد بتوفير عمل مناسب جدا لك .. بل ألح فى طلبه لأنه يعرف عنك وعن صفاتك الكثير.. أرجوك يا أختى لا ترفضى حتى لا تتسببى فى إحراجى البالغ أمامهما. فقد يفهمون رفضك بمعنى آخر. وأنت لا يرضيك أن أقف هذا الموقف.

وقفت ناهد وهى شاردة الفكر.. وقبل أن تتفوه بكلمة واحدة لاحقتها نشوى قائلة :

ـ هذا عنوان مكتبه .. وسيكون فى انتظارك الثلاثاء القادم الساعة الثانية عشر ظهرا.

وبمجرد أن تناولت منها الكارت ارتمت نشوى فى صدرها وأمطرتها بقبلات صادقة وكأنها تشكرها على إنقاذها من هذه الورطة ثم قالت مازحة :

ـ يا بختك الجميع يطلب ودك ورضاك .

ترقرقت ابتسامة على شفتيها وهى تقول :

ـ بالرغم من أنك أصبحت تعملين معيدة فى الجامعة، إلا أن شقاوتك هى الصفة المميزة لك يا نشوى .

و.. تعانقا مرة ثانية . وانصرفت نشوى على وعد بلقاء آخر قريب. ولأول مرة. منذ فترة طويلة تشعر ناهد بالأمان، ليس من أجل الوظيفة التى وعدت بها ولكن بسبب اطمئنانها على مستقبل شقيقتيها .

لم تستطع الانتظار ليوم الثلاثاء لتعرف نتيجة المقابلة، فقررت الذهاب إلى وحيد فى منزل والده لتنقل إليه تلك البشرى التى بلا شك سوف تسعده كما أسعدتها .

ظلت طوال الطريق تحلم بالغد السعيد الذى ينتظرها وبأن حلمها بدأ يقترب من الحقيقة ... سيكون نبأ زواجهما عظيما بعد رحلة كفاح قاسية تحملتها من أجل الآخرين، وقد حان الوقت لكى يصبح لها حق ونصيب فى هذا الحصاد .

شعرت بقلبها ينتفض بنبضات متلاحقة بمجرد أن رأت وحيد وهو ينصرف من الباب الخارجى للمنزل.. أسرعت نحوه فى لهفة صادقة، بينما تلقى

وحيد لهفتها بشىء من الارتباك وكأنه لم يكن مهيئاً لتلك المصادفة .. وبادرها قائلا بفتور :

ـ يالها من مصادفة!!.. لقد كنت فى الطريق إليك.

تلألأت ابتسامتها وهى تجيبه قائلة :

ـ القدر منحنى شرف المبادرة .. كيف حالك يا وحيد لقد طالت غيبتك وازداد قلقى عليك !

لم يستطع إخفاء توتره وهو يتلفت إلى كل اتجاه.. ثم قال :

ـ وحشتينى يا ناهد .. فى الحقيقة عملي الجديد سيطر على كل وقتى. لدرجة أننى لم أعد أحضر لرؤية والدى ووالدتى إلا على فترات متباعدة .

ـ المهم أنك بخير .. أما بالنسبة لعملك فأنا على يقين بأنك ستثبت وجودك به .. و ..

قاطعها مردداً :

ـ طبعا .. طبعا .. أخبرينى أنت كيف حالك !!

أشرقت ابتسامتها من جديد .. وهمست بدلال :

ـ لن أخبرك .. إلا إذا .

ثم صمتت تتأمله للحظة .. فعاد يستفسر قائلا :

ـ إلا إذا .. ماذا ؟!

أجابت وحمرة الخجل تمسح وجنتيها :

ـ إلا إذا دعوتنى إلى الجلوس فى مكان ما .

ازداد اضطرابه .. وقال فى تلعثم :

ـ فى الحقيقة .. أنا .. أقصد ظروفى لا تسمح الآن.. فأنا على موعد مع مدير الشركة .. و..

أسرعت قائلة بصدق :

ـ لا . لا . يجب أن تحترم موعدك مع مديرك .. .. وسوف نحدد موعد آخر. المهم أريد أن أطمئنك بأننى غالبا ما سأتولى عملا جديدا خلال أيام .

حاول أن يبدو سعيدا وهو يقول :

ـ الحمد لله .. ألف مبروك .

وما كاد يتأهب للانصراف حتى شعر وكأنه تلقى لطمة قوية على وجهة أفقدته توازنه ، عندما فاجأته قائلة بطيبة :

ـ بالمناسبة .. أين مقر عملك الجديد؟ .. وما اسم الشركة ؟!

تمالك نفسه بصعوبة وأجاب متعجلا :

ـ لا وقت لدى الآن .. وسأخبرك بكل شىء فى أول لقاء بيننا .

و.. تركها منصرفا من أمامها فجأة . .

أعمتها مشاعرها نحوه عن تصرفه الغريب، بل لم تنتبه نهائيا لهذا الأسلوب الذى اتبعه معها .. ولا للفتور الذى ظلل لقائهما. إحساسها بالأمل كان أقوى من أى ملاحظة .

كل ما فعلته إنها رددت فى نفسها قائلة ..

.. ربنا يوفقك يا وحيد .

واستدارت هى الأخرى منصرفة .. و.. اختفت وسط الزحام .



الثانية عشر ظهراً .. واليوم هو الثلاثاء .

كأن عقارب الساعة قد تحولت إلى جناحين حلقا بالزمن إلى رحاب الأمل والسعادة .. الثوانى بدت كنبضات قلب فى صدر الأمان واليوم كأنه عرس لكل فتيات البشرية كلها .

بدت ناهد وكأنها تنعم بحلم جميل، غير مصدقة أنها أمام واقع حقيقى .. حلم وردى. سماؤه صافية كأنها وشاح الحب الذى يلقى بظلاله على قلوب الدنيا.. وشمسها لها شفاه متلألأة تشع بالأمان والأمل فى كل مكان .. حلم وردى. جعل من الأشجار وكأنها مصابيح تضىء لخطواتها الطريق. والطيور من حولها تغرد بأصوات ملائكية لم تسمع عنها قط .. كانت تسبح

داخل الحلم تحملها نسمات الليل الحنون. تنقلها أمواج البحر من جزيرة إلى أخرى ومن جنة إلى جنة .

اليوم هو موعد لقائها مع عثمان بك متولى والد مدحت .

أدركت أنها تعيش واقع حقيقى، ليس مجرد حلم جميل .

وأدركت أشياء أخرى فى هذا اللقاء .. أن هناك أناس غير الذين تعايشت معهم ووسطهم من قبل .. بشر لا يعرفون التمنى ومرارة قلق الانتظار، تفوح من أجسادهم رائحة القوة والسلطان يصدرون الأوامر ولا يتلقوها. يهمسون فتدوى أصواتهم فى أرجاء تواجدهم.. يبتسمون فتشرق كل الوجوه من حولهم ابتهاجا وامتنانا أدركت أن هناك بطون لم تعرف الجوع يوما ما .. وعيون لم يؤرقها القلق أبداً .. واقعهم بلا أحلام، فلا مجال للتمنى فكل ما حولهم حقيقة .

كل هذا أدركته ناهد منذ اللحظة الأولى التى

جلست فيها أمام عثمان متولى والذى بادرها بصفاقة غير متوقعة قائلا :

ـ لماذا أختك ليست بمثل روعة جمالك !!

تشنجت شرايين عقلها أمام جرأته .. وصمتت .

فأردف وهو يكاد يعتصرها بنظراته قائلا :

ـ أين ترغبين أن تعملى ؟

أجابت بصعوبة بالغة :

ـ أنا حاصلة على ليسانس حقوق .. و..

فأطلق ضحكة سمجة وهو يقول :

ـ أنا لا أسألك عن شهادتك .. أنا أسألك عن رغبتك.

زادها الخجل جمالا وهى تهمس باستحياء :

ـ أى مكان حضرتك تراه مناسباً لى؟

صاح بتبجح :

ـ مكانك المناسب أن تكونى ملكة على عرش قلوب الرجال .. ما رأيك لو تعملين مديرة لمكتبى .

وبدون وعى أفلتت منها صيحة كلها هلع وتوتر :

ـ لا .. أقصد ليست لدىّ خبرة فى هذا المجال .

رمقها بنظرة فاجرة وهو يردد :

ـ يا خسارة!! .. كنت أريد أن أضعك فى المكان الذى تستحقينه. و.. انشغل عنها للحظات بعد أن دس سماعة الموبايل فى أذنه وأدار حوارا سريعا دون أن ينظر إليها قائلا :

.. صباح الخير يا جودت باشا .. سأرسل لك هدية ثمينة .. فتاة من طرفى ألحقها فى شركة من شركاتك.. نعم .. سأرسل معها كارت وتوصية باسمى. أرجو أن أسمع عنها خيرا فيما بعد .

ظل على تجاهله لها وهو يخط بعض الأسطر فى ورقة صغيرة سجل فيها عنوان الرجل ثم أرفق بها الكارت .

ونظر إليها بحنق وهو يمد يده إليها مردداً :

ـ مبروك الوظيفة الجديدة .

وتعمد أن يضغط على كفها بوقاحة وهو يودعها هامسا :

ـ يا خسارة !!

وبصعوبة أفلتت يدها من كفه، وكادت أن تتعثر فى خطواتها وهى تنصرف مسرعة خارج المكتب .

هكذا ... بلا دوران فوق الأرض بحثا عن عمل. ولا سهر ليالى القلق خوفا من الغد المجهول .. بلا مستندات ولا شهادات، بدون درجات تميز أو طلبات خبرة. هكذا فى لحظة تم تعيينها !!

منطق القوة .. أى كانت مصدرها .. قوة الجنس.. المال .. السلطة. لحظة .. تساوى عرق وشقاء سنوات طويلة. تساوى أرق الليل وأحلام اليقظة. لحظة لا تدخل فى حسابات الزمن العادل .

وبما أن عثمان متولى يمثل أحد مصادر هذه القوة. تم تعيين ناهد فى لحظة. وبدأت حياتها الجديدة فى شركة متخصصة لتسويق القرى السياحية التحقت بإدارة العلاقات العامة، واستطاعت خلال أسابيع قليلة أن تثبت كفائتها وتنال كل التقدير والاحترام من جميع زميلاتها وزملائها .. كانت سعيدة ليس فقط من أجل استقرارها ولكن من أجل إحساسها بالمناخ النقى الذى أحاط بها فى هذا المكان الجديد. الجميع يعمل برقى ويتعامل بلغة حوار عالية الثقافة وتجمعهم مشاعر الود والتآلف تعددت علاقاتها وصداقاتها فانشغلت بهم وانشغلوا بها خاصة المحاسب أحمد فهمي الذى سعت هى للتقرب إليه عندما علمت بقصته من إحدى زميلاتها .. جذب وقاره انتباهها وازداد إعجابها بتأدبه واتزانه، وتسلل إلى فكرها من حالة الشرود الدائم الذى يلازمه، صفاته كانت بطاقة التعارف بينهما دون مقدمات أو تدخلات من أحد. فهو قليل الكلام والابتسام. برىء النظرات ومهذب العبارات. كبرياؤه

محبب بلا غرور، وصفاء وجدانه يكاد يفترش ملامح وجهه. وكانت مسحة الحزن المسيطرة على مقلتيه هى التى دفعتها بجرأة لتسأل عن أسبابها من إحدى زميلاتها فعلمت عنه الكثير. أوجعتها صدمته فى الإنسانة التى أحبها بكل صدق وكان المقابل هو خيانتها له وفرارها مع رجل عربى إلى خارج البلاد من أجل ثرائه. وأثارها تصرفه تجاه الإنسانة الغادرة بشموخ وهو يخفى جرح الخيانة بين أضلعه وإصراره على النجاح والتفوق بلا عقد أو أحقاد.

حاولت أن تقترب منه ذات صباح لتواسيه فى مشاركة وجدانية معه كزميل، ولكنها لم تتلق منه سوى بضعة كلمات قليلة استقرت فى أعماقها وزادت من انبهارها برجولته عندما همس بتأدب قائلا :

.. الماضى الأسود ليس له مكان فى الغد المشرق.

وكانت تلك الكلمات هى سلاسل الحرير الوهمية التى ربطت بينهما فى علاقة نقية بلا مآرب

نسيجها الشفافية ومشاعر الود والأمان والصداقة. لم تشعر لحظة بأى حرج وهى تقص عليه مشاغلها ومشاكلها .. باتت تستنير بآرائه فى كل كبيرة وصغيرة .. وهو أيضا كان يحثها على مواصلة كفاحها بعزيمة ويبث فيها الأمل بأنها حتما ستتوج قصة حبها مع وحيد بالزواج والسعادة الأبدية .. وجدت فيه الأب بالرغم من شبابه والأخ بلا صلة دم والصديق بدون تاريخ .. وجدت عنده الأمان والصدر الذى تلقى بداخله كل الهواجس التى كانت فى صدرها فصارحته وهى مبتسمة فى خجل قائلة :

ـ اقتربت منك لكى أعاونك فألقيت على كاهلك بكل همومى .

طفرت ابتسامة هادئة على شفتيه قبل أن يقول:

ـ قصتكما الرائعة أنتى والأستاذ وحيد هى أكبر دليل على أن الدنيا لا تتوقف عند لحظه خيانة وأن الحياة مليئة بالحب والإخلاص والوفاء العظيم .

احمرت وجنتيها وهى تجيب قائلة :

ـ يشرفنى أن تكون أنت أول من يشهد ويبارك على هذا الزواج ولكنى مصرة لكى أعرف تفاصيل قصتك.

ضحك بصدق للمرة الأولى .. ثم قال :

ـ لقد قاربت على نسيانها .. ومع ذلك أعدك بأن أسردها عليك فى أول فرصة . و..

وتردد لحظة قبل أن يردف قائلا :

ـ لدى تساءل ولكنى أخشى أن أكون متطفلا إذا ما ذكرته .

أسرعت قائلة بود شديد :

ـ الرابطة التى بينى وبينك تعطيك الحق لكى تسأل كما تشاء .

همس بحذر:

ـ ألم يحن الوقت لكى تسألى عن أختك نجوى وأن تغفرى لها عصيانها لك .. خاصة وإنها أصبحت مستقرة كما ذكرتى لى .

تمتمت بلهفة وحنان قائلة :

ـ أنت إنسان عظيم يا أستاذ أحمد .. و..

وأسقطت نظرتها إلى الأرض .. ثم استطردت بدلال مهذب :

ـ وبما أنك طبيبى النفسى وأستاذى الفكرى .. أول شىء سأفعله غداً هو الذهاب لأختى، فاشتياقى لها يكاد يمزق قلبى. ولن أنسى أن أطلب من وحيد أن يأتى لزيارتنا فى الشركة لكى أعرفه على أطهر إنسان رأيته فى حياتى .

لم يدع لها فرصة للاسترسال .. وردد قبل انصرافه من أمامها قائلا :

ـ أراك غداً ولكن ليس بمفردك .. فأنا شغوف للتعرف على الأستاذ وحيد لكى أهنئه على الجوهرة التى معه .

و.. انصرف .

بينما راحت تتابعه بنظرة كلها تقدير .. و.. إعجاب .



فوجئت ناهد بمجرد تركها للسيارة الأجرة التى أوصلتها إلى الفيلا التى تسكن فيها نجوى بعادل الخولى أمام البوابة وفى طريقه إلى سيارته وما أن لمحها حتى اقترب منها وبادرها بوجه بارد :

ـ أهلا يا آنسه ناهد .. ما هذه الزيارة المفاجأة ؟!

صافحته وهى منشرحة القلب وأجابت :

ـ فى الحقيقة جئت أطمئن على نجوى . وقررت أن أفاجئها بزيارتى .

قال وهو يحتفظ بأساريره الجامدة :

ـ حسناً .. فأنا كنت ذاهب إليها فى شاليه الهرم.

ـ أليست موجودة هنا إذن ؟!

أجاب باقتضاب :

ـ لا .

ثم أردف بعد لحظات صمت :

ـ يمكنك مرافقتى إليها .. وهى ستسعد حتماً بهذه الزيارة .

لاحظ ترددها . فأسرع قائلا :

ـ السيارة الأجرة انصرفت .. ومن الأفضل أن تأتى معى .

و .. انطلق بها بسيارته بعد أن اندلفت داخلها وجلست بجواره .

كان شاردا ومهموماً، ومضت الدقائق طويلة ومملة دون أن يتفوه إليها بحرف واحد .. تصورته مستاءاً لقدومها ولكنها بررت صمته بأنه مشغولاً بالتفكير فى أعماله الكثيرة .

وفى منتصف الطريق قطع الصمت قائلا :

ـ أعتقد أن لك مدة طويلة لم ترينها .

تنهدت بحزن قبل أن تجيب قائلة :

ـ نعم مدة طويلة جداً.

التفت إليها فى نظرة كلها امتعاض .. ثم قال :

ـ تقريبا منذ زواجى منها .. أليس كذلك ؟!

همهمت فى ارتباك دون أن تجيب .

استطرد وكأنه يحدث نفسه متسائلا :

ـ بالمناسبة .. هل خطيبك سعيد بعمله الجديد؟.. لابد وأنه كان ينقل إليك أخبار نجوى لكى تطمئنى عليها .

أخذتها الدهشة وهى تنظر إليه قبل أن تقول :

ـ وكيف سيعرف وحيد أخبار نجوى. وما علاقته بذلك ؟

رمقها بنظرة مستاءة .. ثم قال بحزم :

ـ ألا تعلمى إنها توسطت له لكى يعمل فى إحدى شركاتى.

أسرعت مرددة :

ـ نجوى .. نجوى فعلت ذلك

ـ نعم .. نجوى فعلت ذلك من أجلك .. فهى أقنعتنى أنها الوسيلة الوحيدة لمساعدتك أنت وهو دون أن تجرح مشاعرك .

و .. أطبق الصمت من جديد .

ولكنه صمت مختلف .. يخفى فى باطنه ثورة ملتهبة من الأفكار المشتتة. كسكون الأفاعى فى جحورها وهى تنتظر الانقضاض على فريستها

عادل الخولى صمته يطوى الشك والريبة فيما إذا كانت ناهد تعلم الكثير وتخفيه .

وناهد صمتها أوقعها فى هوة ساحقة من الحيرة وهى تتساءل لماذا أخفى عنها وحيد أنه يعمل فى إحدى شركات الخولى .

ولأنه الصمت .. فكلاهما لم يتلق إجابة

و.. وصلت السيارة إلى استراحة الهرم أو الشاليه وما أن أوقف عادل الخولى محركها ونزل منها حتى ظهر مجموعة من الرجال الأشداء والتفوا حوله بحذر شديد ثم تقدم قائدهم وهمس إليه بتأدب :

ـ إنهما بالداخل .

التفت الخولى تجاه ناهد وقال بلهجة آمرة :

ـ انتظرى بالسيارة .. فيبدوا أن لدىّ بعض الزائرين .. وسأرسل لك أختك .

واتجه نحو الباب الخارجى للشاليه وتبعه الرجال فى شكل الحرس الخاص .

واختفى الجميع عن عين ناهد بعد أن اندلف الكل داخل الاستراحة

وفى الداخل كانت خطواتهم غير مسموعة، وتوقف الخولى للحظات أمام باب مغلق يسترق السمع

بحذر كبير ثم أشار لرجلين من أتباعه بأن يحطما الباب بعنف. وما أن فعلا ذلك حتى انكشفت الكارثة بوجود نجوى ووحيد فى وضع مخل ومشين تماما فوق الفراش وقد تجردا من ملابسهما. وبهدوء لا يتناسب مع الموقف تناول الخولى مسدسه من داخل سترته وقال بحسم موجها كلماته لهما :

ـ أى تحرك منكما سأطلق النار فوراً .

كان الذهول قد تملك تماما من ملامح نجوى ولم تقو إلا على فتح فمها فى حالة رعب صامت وكأنها قد ماتت متجمدة. بينما تكور وحيد فى جلسته القرفصاء ليخفى عورته وقد تقاذفت حبات العرق من كل مسامه فى اضطراب شديد وكأنه قد أصيب بالملاريا فجأة .

وفى نفس اللحظات كان كل رجل من المجموعة يقوم بدوره المكلف به مسبقا. حيث واصل أحدهم تصويرهما بكاميرا فيديو بينما تلاحقت الصور الفوتوغرافية من الآخر. والثالث انشغل بجمع ملابسهما الملقاة على المقاعد المجاورة للفراش .

وبهدوء مرعب اقترب الخولي من وحيد ووجه إليه فوهه المسدس وأمره بأن ينبطح على وجهه وامتثل وحيد للأوامر دون أن يتفوه بكلمة واحدة فاندفع نحوه اثنان من الرجال وأوثقا ذراعيه من وراء ظهره ثم جاء الثالث ووضع شريط لاصق على فمه فأصبح لا حول ولا قوة به .

ثم تحول بمسدسه نحو نجوى وهو يتفحصها بتقزز قائلا :

ـ أما أنتِ يا رخيصة فلا تنزعجى. فأنا لا يعنينى كونك عاهرة أو تاجرة بجسدك. ولن ألطخ سمعتى بدمائك القذرة. ولكن ..

ثم صمت لحظة التفت خلالها إلى أحدهم الذى سارع بتقديم بعض الأوراق إليه. فتناولهم منه وبدأ يمد ببعضها إليها بالإضافة إلى القلم .. وقال وهو يكظم غيظه :

ـ هذا تنازل عن التوكيل العام مؤقتا .. وهذه بعض الأوراق سأحتاجها فيما بعد .. وقعى عليها

جميعا بهدوء .. وغدا سأصطحبك إلى الشهر العقارى لتكملي الإجراءات رسميا .

وبعد أن انتهت نجوى من التوقيع على كل ما طلب منها تناول الأوراق من يدها .. ثم بصق على وجهها بمرارة وقال :

ـ يمكنك الآن ارتداء ملابسك يا فاجرة .. أختك ناهد تنتظرك بالخارج .. وللعلم هى لا تعرف شيئاً عما يحدث الآن وعن علاقتك القذرة بخطيبها النصاب .

ثم عاد والتفت إلى وحيد وأردف :

ـ أما أنت يا خنزير سوف تبقى هنا للغد .. و..

ونظر إلى أحدهم قائلا :

ـ حل وثاقه لكى يتمكن من التوقيع على هذه الأوراق والصكوك .

ومرة أخرى يمتثل وحيد صامتا لكل طلبات الخولى وراح يوقع على إيصالات أمانة وشيكات بمبالغ طائلة وأوراق بيضاء .

وفى هذه الأثناء انتهت نجوى من ارتداء ملابسها فانتحى الخولى بها جانبا وقال بفتور غريب :

- أنصتى يا نجوى جيدا .. فأنت تدركين بأنك بالنسبة لى لم تكونى زوجة حقيقية .. فأنت مجرد صفقة تجارية .. وأنا كتاجر ورجل أعمال أتوقع الربح والخسارة دائما .. ولا يهمنى أن كُنتِ صفقة خاسرة أم رابحة. المهم عندى الطاعة العمياء لكل تعليماتى. وأول هذه التعليمات ألا يعلم أحد بهذا الموضوع. ولذلك يمكنك توصيل أختك بسيارتك ثم تعودين إلى الفيلا وتنتظرينى لحين أعود لكى نستكمل غدا باقى الإجراءات .. أفهمتى؟ .. أم ..

أومأت برأسها وحالة الرعب لا تزال تسرى فى كيانها، ثم استدارت متجهة إلى خارج الشاليه .

وبمجرد ظهورها خارج الاستراحة هبطت ناهد من السيارة وأسرعت إليها بلهفة والتقيا بمنتصف الطريق فى عناق طويل وانهارت نجوى فى بكاء مرير

وهى تلقى برأسها على كتف شقيقتها التى راحت تربت عليها بحنان صادق وهى تردد بحب :

ـ لقد ازددت جمالا بعد زواجك يا حبيبتى .

تأبطت نجوى ذراع ناهد واتجهت بها نحو سيارتها هامسة :

ـ تعالى يا أختى .. سأوصلك بسيارتى .

وفى الطريق لم تستطع نجوى إخفاء دموعها وهى تقود سيارتها وناهد تحاول تهدئتها ظنا منها أن أختها تبكى من شدة الفرح بلقائها بعد الغياب .

وازداد الموقف تعقيدا عندما بادرتها قائلة :

ـ أحقًّا وحيد يعمل فى إحدى شركات زوجك؟!

كادت تفقد السيطرة على عجلة القيادة .. قبل أن تهمس باستحياء :

ـ نعم .

ـ منذ متى؟

ابتلعت ريقها فى محاولة لابتلاع توترها.. ثم أجابت:

ـ منذ فترة .. أقصد .

قاطعتها بعتاب وقالت كأنها تحدث نفسها :

ـ غريبة .. لا أنتِ ولا هو أخبرنى بذلك .

لم تتلق إجابة من نجوى .. وعادت الدموع الصامتة .. وتملكت الدهشة من ناهد .. فهى بالفعل لم تجد مبررا لإخفاء ذلك الموضوع، وأصبح الموقف بينهما ما بين الحيرة والشرود .. ما بين الخوف والغموض. ومرة ثانية تتساءل ناهد ببراءة :

ـ ماذا بك يا حبيبتى ؟

همست بتلعثم :

ـ لا شىء .. لا شىء .

ظل الصمت مهيمناً على رحلتهما إلى أن اقتربا من مشارف قلب المدينة فبادرتها ناهد بعد لحظة تأمل عميقة .. وقالت :

ـ لن أعود للمنزل الآن .. هل يمكنك توصيلى إلى مقر عملى الجديد . ووصفت لها المكان .

وأمام مقر الشركة وبعد أن غادرت ناهد السيارة، فاجأتها نجوى قائلة وقطرات الدمع تسبق نظرتها :

ـ سامحينى يا ناهد . سامحينى يا أختى .

وقبل أن تسألها عن السبب .. انطلقت الأخرى بسيارتها بلا تردد .

لم يكن من الصعب على أحمد فهمى أن يلحظ ملامح الحيرة والشرود على وجه ناهد . اقترابه من وجدانها كصديق أتاح له فرصة التغلغل إلى أعماقها ومعرفة حالتها المزاجية.

دنا منها بحرص .. ثم تساءل بهمس :

ـ أراك غير سعيدة .. فهل وجدت صعوبة فى لقاء شقيقتك ؟

أجابت باقتضاب :

ـ لا .

حاول أن يبتعد بعد إحساسه بالحرج من إجابتها المبهمة وما كاد يستدير .. حتى استوقفته قائلة :

ـ أنا آسفة يا أستاذ أحمد .. ولكنى واقعة تحت تأثير دوامات الحيرة والغموض .. وأفكارى مشتتة تماما.

راقبها فى لحظة تأمل صامتة دون أن يعلق على تبريرها مما شجعها لكى تستطرد قائلة بحماس :

ـ سأخبرك بما حدث .

و .. أخبرته بكل شىء .. بأدق التفاصيل كعادتها معه. وهو ينصت إليها باهتمام بالغ بلا ردود أفعال على ملامحه .

ولكنه فوجئ بتساؤلها قائلة :

ـ ما هو تفسيرك لهذه المواقف الغامضة ؟!

أشاح بوجهه برهة عنها وكأنه يتهرب من

سؤالها. ولكنه عاد والتفت إليها بوجه هادئ وقد ارتسمت ابتسامة أكثر هدوءا فوق شفتيه وقال بثبات:

ـ الحقيقة يا آنسة ناهد لا تحتمل التنفس كثيرا فى الظلام .. لأنها تعشق النور والوضوح ولذلك فهى تظهر فجأة مهما مضى عليها الزمن داخل كهوف الأسرار الغامضة .

تأملته بنظره ملؤها الإعجاب والارتياح .. ثم قالت بنبرة شجية :

ـ لا أخفى عليك يا أستاذ أحمد، إن كلماتك دائما ما تبهرنى وأشعر معها بالارتياح الشديد .

اتسعت ابتسامته وهو يقول بتودد :

ـ لا أخف عليك أنتِ يا آنسه ناهد. برغبتى فى انصرافك إلى المنزل لأننى أرى الإرهاق يسيطر على ملامحك .. اسمحى لى أن أطمئن عليك بالتليفون .

انفرجت أساريرها مع ضحكة بلا ميوعة .. ثم قالت وهي تنهض :

ـ سمعًا وطاعة يا معلمى الأول لمعنى الحياة .

وانصرفت من أمامه خارج المكتب .

بينما سكن هو يتابعها بنظرة استشعرها فى أعماقه ولكنه أصر ألا يترجمها خوفا من أن تكشفه مقلتيه .

وردد هامسا إلى نفسه :

.. مع السلامة .



كأنه كائن مفترس .. عملاق شرير ينصب شباكه اللامرئية ليصطاد بها فريسته. غذاؤه الأحلام الزائفة والأماني المستحيلة.

كأنه كيان هلامي غير محدد المعالم تسري في عروقه الرمال الناعمة و القاتلة، يتنفس رائحة البلهاء ويهوى أطماع الأشقياء الضعفاء.

ظهر عملاق الوهم ليدوس بقدميه حدائق الأحلام الوردية التي كانت تتجول فيها نجوى حيث وجدت نفسها بلا طريق تخطو عليه ولا ذهن تفكر به .. بلا مال يحميها و لا ذكرى ترضيها .. لفظتها الحياة الناعمة لتتلقفها الليالي القاتمة. انتقم منها الوهم انتقاما جباراً ومشيناً وكأنه يعاقبها لأنها صدقت نفسها وأرادت أن

تنسج واقع غير واقعها، كشف لها عن وجهه الخبيث ولاحقها بسخرية وهى تخرج من منزل الزوجية مطحونة ومقهورة ومهزومة. أدركت بعد فوات الأوان أن هناك فرق بين أن يسعى المال إليها وأن تسعى هى إليه بلا مقومات.

انتقم منها الوهم لأنها صدقته وكذبت نفسها.

• جردها زوجها المقايض من كل شئ، جردها من سمعتها ومن ماضيها الشريف سحق كرامتها أمام الجميع و راحت تتسول مكان يأويها عند صديقاتها اللواتى لا يعرفن عنها شيئاً.

ظهر عملاق الوهم ليعتصر بين يديه عضلات وحيد المفتولة ويحول قوامه المشوق إلى قزم مسخوط. اكتشف أنه كان يستند على جدار من أحلام اليقظة وعندما أفاق وجد نفسه يسقط فجأة داخل دوامة الواقع الأليم. فكوا وثاق يديه ليحاصروه بعد ذلك بقيود شائكة من الاتهامات .. تهمة اختلاس من خزينة الشركة، تهمة خيانة الأمانة .. تهمة شيك بدون رصيد.

راح يصرخ بأنه برئ ولكن صوته كان بلا صدى .. تشققت جفونه من كثرة دموع الندم وتاهت توسلاته فى جوف العدم.

أمرت النيابة بحبسه على ذمة التحقيق .. تنفس القهر وتذوق مرارة الخزى والمذلة.

كاد رأسه ينفجر عندما هرولت إليه أمه العجوز لتسأله ودموعها تحجب رؤيته :

ـ لماذا فعلت ذلك يا وحيد .. وكنا فى حاجة إليك أنا وأبيك لترعانا ؟

ولأن القوة لا تحترم إلا مثيلتها. فتمخض ذلك التحالف ليلفح صهد الخطيئة حياة نشوى الصغيرة بلا ذنب اقترفته وفوجئت بإحالتها إلى مجلس تأديب فى الجامعة بتهمة تسرب أسئلة الامتحانات.

دافعت عن نفسها بكل الطرق. و.. ثارت منزعجة:

..كيف حدث ذلك والأسئلة فى درج مكتبى بالمنزل ؟!!

.. هذا ظلم وإدعاء ملفق .

.. أنا بريئة.

لجأت إلى زوجها مدحت تطلب منه العون :

ـ أنقذنى يا مدحت ... أنت تعرف زوجتك جيداً.

تململ مدحت وهو يجلس أمامها فى غرفة النوم.. ثم قال بلا اكتراث :

ـ وماذا يمكننى أن أفعل يا نشوى ؟!

انهمرت دموع الخوف من عينيها وهى تردد :

ـ احمنى .. اشهد لصالحى .. حاول أن تفعل أى شىء .

رمقها بنظرة بلهاء قبل أن يجيب :

ـ ما دخلى أنا .. هذه مسؤليتك أنت .

انتفضت كالنمرة وصاحت :

ـ لا أحد يعلم بمكان الأوراق سواك.

تحـرك بهـدوء غريـب واتجـه نحـو بـاب الغـرفة وفتحه .. ثم قال بصوت مرتفع :

ـ أوصلت بك الوقاحة أن تتهمينى بسرقة الأوراق!!

وأدركت نشوى ما يعنيه من وراء تصرفه فازداد هياجها وهى تقول :

ـ لم أكن أتصور أنك على هذا القدر من التفاهة.

وفجأة ظهر والده عثمان متولى قادماً من الردهة المجاورة واقترب منها قائلا بنبرة غاضبة :

ـ اخرسى يا خادمة .. أنا لا أندهش من تصرفك هذا ولك أخت مثل نجوى فكلتاكما بلا أخلاق .

تسمرت فى مكانها لعدة لحظات تحت تأثير ذهولها .. ثم قالت بسخرية مكلومة :

ـ الآن بدأت الحقيقة تنكشف أمامى . و..

قاطعها الأب بحدة :

ـ لا .. أنتِ لم تعلمى الحقيقة بعد .. فقد صدر

قرار اليوم بفصلك من الجامعة. وهذا أقل جزاء يمكن تناليه .

رددت و كأنها تحدث نفسها :

ـ نعم .. هكذا الصورة وضحت .. إنها مؤامرة إذن.. دبرتها أنت وصديقك المتصابى عادل الخولى .. تكاتفت مصالحكما ضدى .. هو ينتقم وأنت ترتشى .. وأنا أدفع المقابل من مستقبلى .

وعلى حين غرة اندفع نحوها وهوى بكفه على وجهها بقوة جعلها تترنح إلى الأرض .. وقال صارخاً :

ـ أنت يا متسلقة يا سافلة .. كيف جرؤتى أن تقولى هذا فلو أردت لوضعتك فى السجن أيضاً .

تحاملت على نفسها وهى تنهض بصعوبة ورمقت زوجها بنظرة مشمئزة ثم التفتت نحو عثمان متولى قائلة :

ـ أعلم إن فى استطاعتك ذلك .. والطبيعى أن

أنـال جـزاء الوهـم الـذى عـايشـت نفسـى فـيه وتصـورتـه حقيقة بينكم .

تصلبت نظرته القاسية فى اتجـاه عينيها .. ثـم قال بحـزم :

ـ لا .. ليس هذا جزاؤك فقط .

صـمتت فـى استسـلام تـام .. بيـنما أردف هـو موجهاً حديثه لمدحت :

ـ تخلص من هذه القمامة الآن .

وبلا تردد فاجأها مدحت قائلا :

ـ أنت طالق يا نشوى .

تدلت ابتسامة بائسة على طرف شفتيها وكأنها قطرة دمع وهزت رأسها بإيماءة خفيفة .. وهمست :

ـ عندك حق .

وتدخـل عـثمان مـتولى مـره أخـرى فـى الحديـث قـائلاً بلهجة آمرة :

ـ والآن .. انصرفى من المنزل كما آتيتى بلا حقائب.

و.. انصرف من أمامها إلى الخارج وهى صامتة.. وما كادت تجد نفسها فى الطريق بمفردها حتى استسلمت للبكاء بمرارة اختلط فيها الندم مع القهر دون أن تدرى إن كانت تبكى من أجل الحب الضائع .. أم لأجل الوهم الخادع .

كان لقاءاً مثيراً عندما قررت نشوى الذهاب إلى نجوى عند صديقتها .. لقاء جمع بين كسيرتين وجريحتين .. و.. مقهورتين .

نظراتهما الصامتة بدت وكأنها رسائل للاتهامات المتبادلة. فكلتاهما ترغب فى أن تلقى باللوم والمسئولية على الأخرى .

نشوى تتهمها بالعبث والخيانة ونجوى تبادلها الاتهام بضعف شخصيتها وسلبية موقفها .

ويسقط قناع الصمت فجأة عندما تتدخل الصديقة مرددة بكلمات مجاملة :

ـ كل الرجال خونه وغدارين .

وتجدها نشوى فرصة لكي تعبر عن تذمرها من أختها .. وقالت :

ـ ما ذنب الرجل الذى تخونه زوجته ؟!!

وبلا تردد صاحت نجوى قائلة :

ـ وما ذنب الرجل الذى يتزوج من إنسانة تافهة؟!!

ومرة ثانية تتدخل الصديقة فى الحديث لتهدأ من توترهما خشية من تطور حدة المناقشة بينهما ويصلا إلى درجة الصدام .. وقالت :

ـ لا ذنبك ولا ذنبها .. فأنتما ضحايا بسبب ضآلة خبرتكما .

أجابت نجوى بتحدى :

ـ بل قولى سوء الحظ .. وخطأى الوحيد أننى لم أكن أكثر حرصاً .

رمقتها نشوى بنظرة ملؤها الاشمئزاز .. وقالت بتهكم :

ـ هل هذا فقط ما يشغلك بأن تلومى نفسك بأنك لم تكونى أكثر حرصاً فى خيانتك لزوجك .

بدأت تدافع عن منطقها بثورة مكبوتة :

ـ أنا لم أخن أحد .. زوجى هو الذى أخل بالاتفاق.

شعرت الصديقة بالاستفزاز قبل أن تتساءل :

ـ كيف!! .. ما هذا الذى تقولينه !!

نهضت فجأة وكأنها تتأهب لإلقاء محاضرة .. ثم قالت بفتور:

ـ لأنه من البداية كان يعلم بحتمية ما حدث الآن .. أنا قبلت أن أبيع شبابى مقابل أمواله. وهو قبل أن يبيع نخوته مقابل لحظة استمتاع .. إنه اتفاق غير

مدون .. هو أخذ ما يريد بقدر ما تسمح به سنوات عمره الواهنة. أما ما تبقى منى فليس من حقه .. فأين هى الخيانة إذن !!

صاحت نشوى بمرارة :

ـ أنا لا أصدق إنك نجوى شقيقتى .. أنت تتحدثين بأسلوب العاهرات .

ابتسمت بسخرية قبل أن تقول :

ـ لا تحاولى التظاهر بالحكمة والفضيلة .. فأنت أيضاً قايضتى بكيانك كإنسانة وتنازلتى عن كثير من حقوقك مقابل أن تحققي طموحاتك العلمية .. زواج المصلحة.. أنت تقدمين الطاعة .. وهو يمنحك نفوذ والده.

فاجأتهما الصديقة بسؤال كالصاعقة :

ـ ماذا ستقولن لناهد؟!!

أطبق الصمت على المكان .

ماذا سيقولون لناهد؟!

ناهد التى ظلمتها الليالى عندما ألقت على كاهلها أعباء ثقيلة بعد وفاة والدهم. طالبتها الأقدار بأن ترعى شقيقتيها ولا أحد يرعاها. حرمتها المسئولية من أن تعيش شبابها . تحملت بصبر وإصرار كل مفاجآت الزمن .

ناهد الشامخة .. عزيزة النفس فى كبرياء ومحددة الأهداف بإرادة قوية. قاومت كل المغريات بالرغم من رصيدها الكبير من الجمال والفتنة. هى التى جعلت من مبادئها درعاً يقيها من لحظات ضعفها وزادتها ضربات المحن صلابة .

داست بأقدامها فوق كل العروض المعروضة فارتفعت عالية بشموخ يثير الإعجاب والأحقاد معاً .

طوت الحب فى قلبها من أجل استقرار الآخرين.. اكتفت بالأمانى والأحلام دون أن تحاول تحقيقها قبل أن تطمئن على مصير أختيها قايضت بسعادتها من أجل الجميع .

ناهد التى أصابها الغدر بطعنة مسمومة من أقرب الأقربين .

ماذا سيقولون لها ؟!!

همست نشوى بنبرة كالفحيح :

ـ ماذا سنقول لها يا نجوى ؟!!

أسقطت الأخرى نظرها إلى الأرض .. وتمتمت فى مذلة :

ـ الموت أهون على من أن أواجهها .

عادت نشوى تقول :

ـ وأنا أيضاً ..



كأن العذاب قد تفرغ لملاحقته ناهد.

فما كادت تلتقط أنفسها بعد رحلة العناء الطويلة، وتصورت أن ليل الهموم قد أنجلى حتى هاجمتها الأحداث المريرة بضراوة، عندما استدعاها جودت بك صاحب الشركة التى تعمل فيها. ورأت فى عينيه نظرات مترقبة جعلتها تتذكر نفس النظرات التى كانت فى عين مستشار المحكمة يوم قرر أن يفصلها.

وبمجرد دخولها إلى مكتب جودت أطلق الرجل تنهيدة مكبوته فى صدره وكأنه ينفث ضباب الغضب من بين شفتيه.

تسمرت فى مكانها وهى تراقبه بحذر.

وبنبرة هادئة ذادت الموقف غموضاً .. قال :

ـ أجلسى.

جلست أمام مكتبه وهى تحاول إخفاء توترها .. وظلت صامته، ومرت لحظات من السكون بينهما جعلت ناهد تعتقد بأنها قد أصيبت بالصمم فجأة.

وبلا مقدمات باغتها جودت بسؤله قائلاً :

ـ متى رأيتى أختك نشوى أخر مرة ؟

حاولت أن تبدو طبيعية وهى تجيبه قائلة :

ـ فى الحقيقة أنا أحاول ألا أشغلها كثيراً عن زوجها.

عاود وهو يركز نظره إلى عينيها قائلاً :

ـ سألتك منذ متى !

شعرت بانقباض وهى تقول :

ـ لا أذكر بالتحديد .. ولكن .. هل حدث مكروه لأختى ؟!

تقلصت ملامح الرجل، ثم قال وكأنه يذبحها بسكين غير حاد :

ـ لقد اتصل بى عثمان بك متولى .. وطلب منى أن أستغنى عن خدماتك.

رددت فى هلع :

ـ أنا .. لماذا ؟!!

تململ جودت قليلاً فوق مقعده .. ثم قال بهدوء مثير :

ـ لا أخفى عليك أن الموقف صعب وثقيل على نفسى .. و.. قاطعته بلهفة :

ـ أرجوك .. ماذا حدث لنشوى؟ .. ولماذا يطلب منك والد زوجها الاستغناء عنى؟ .. فأنا لم أفعل شيئاً فى غير صالح الشركة.

ـ الأمر لا يخص الشركة .. بل بسبب شقيقتيك نجوى ونشوى وشخص ثالث اسمه وحيد .. لم أكن أعرف أنك مرتبطة به.

بدء الانهيار يتسلل إلى كيانها وهى تتساءل فى حيرة :

ـ وما دخل وحيد فى الأمر!!

ـ سأخبرك .

و.. أخبرها .. راح يسرد عليها قصة الأحداث التى مضت بأحرف صارخة بالعار.. نبرته الهادئة كانت تدوى فى أذنيها بقوة حتى كادت تفجر شرايين عقلها.. تجسدت المعانى فى أبشع صور الخطيئة والرذيلة .. تحولت التلميحات إلى أسنة رماح تمزق وتتراشق فى كينها البرىء.

بحثت فى ذاكرتها عن كيفية الكلام .. ولكنها فشلت .. حاولت أن تفكر ولكنها شعرت بأن رأسها بلا عقل .. أن تبكى ولكن دموعها هربت فزعاً وتركت مقلتيها صماء كالحجر.. تاهت فى جوف أعماقها ولم تعد تدرى .. أين هى؟!! ومن هى؟!! ولماذا هى؟!! حاولت أن تلملم انكسارها وهى تنهض، إلا أن الرجل استوقفها قائلاً :

ـ انتظرى يا ابنتى .. سأخبرك بشيئاً مهماً فأنتِ كما أرى قليلة الخبرة فى الحياة ولذلك قد يصعب عليك فهم ما يدور حولك .. هناك البعض الذى يتصور أن مصائر الناس يحكمها ويتحكم فيها سلطة المال أو سلطان السلطة .. أو .. نشوة الجنس. وهؤلاء يتناسون أن الأخلاقيات والمبادئ واحترام القيم أقوى بكثير جداً من تصوراتهم الخائبة .. وأنتِ وأمثالك هم حماة هذه القيم والمبادئ . وأنا لا أقول هذا من فراغ .. فلقد سألت عنك وعن أخلاقك أشخاص أثق فيهم تماماً وأخبرونى بكل ما يشرفك ويرفع من شأنك أمام الآخرين ولذلك أرجو أن تعتبرى الموضوع منتهياً وكأنه لم يكن . وأنا شخصياً قررت زيادة راتبك .. والآن يمكنك العودة لمتابعة أعمالك.

نهضت بهدوء واتخذت خطواتها إلى خارج المكتب دون أن تتفوه بكلمة واحدة .. وبمجرد انصرافها فوجئت بأحمد فهمى يقف أمامها وكأنه كان فى انتظارها أو فى انتظار نتيجة لقائها مع جودت بك.

توقفت فى مواجهته .. وتأملته فى نظرة طويلة .. ثم همست قائلة :

ـ هل كنت تعلم ؟!

انسحبت نظرته إلى الأرض فى محاولة لإخفاء ارتباكه عن عينيها، وما كادت تتجاوزه حتى سارع مرددا :

ـ ناهد .. آنسة ناهد .

التفتت إليه وقد اغرورقت عيناها بدموع الأسى.. فاستجمع شجاعته وقال فى تردد متساءلاً :

ـ إلى أين .. ؟

أجابت بنبرة مقهورة :

ـ سأبحث عن أختاى.

لاحقها باندفاع قائلاً :

ـ سأرافقك إلى حيث تذهبين.

قالت باقتضاب :

ـ لا .. فأنت أنبل وأشرف من أن أصطحبك للمكان الذى أنا ذاهبة إليه و..

استدارت منصرفة فى إصرار.

قررت أن تذهب إلى وحيد فى محبسه الاحتياطى.

هو فقط الذى يعرف مكان نجوى .. وهو فقط الذى تمنت أن تراه فى تلك اللحظة .. وكأنها تريد أن تسأله .. لماذا ..؟!

استقلت سيارة أجرة، انطلقت بها فوق الطريق.. أما هى فانطلقت بأعماقها وأفكارها إلى الماضى البعيد والقريب.

تذكرت أباها من جديد .. لو كان لا يزال حياً فماذا كان سيفعل مع شقيقتيها؟ .. وكأنها تريد أن تتشبه به فى مماته كما كانت تعتنق مبادئه فى حياته.

همست فى خاطرها متساءلة.

.. وأنا .. ما الذى ارتكبته حتى أنال كل هذا العذاب !!

إذا كانت المبادئ والأخلاقيات لا تسعى للإنسان بل عليه هو البحث عنها والتمسك بها ثم يأتى دورها بعد ذلك فى حمايته.

فما بال الحب الذى يفرض علينا .. كيف نأمن جانبه؟!! وكيف ندرك ما يبطنه لنا؟!!

كلا الأمرين يشتركان فى لحظة الضعف.

فالمبادئ قد تقهر والحب أيضاً يشترى ويباع.

ما ذنبى أنا .. ؟!!

تسلحت بمبادئى فعجزت عن إنصافى.

احتميت بالحب فخذلنى .. وأذلنى أضنانى.

ماذا أفعل يا ربى ؟!

إذا كان المال .. والسلطة .. والجنس هم مصدر قوة العالم.

فماذا أفعل؟!

أطلقت تنهيدة من خلال نافذة السيارة .. ثم عادت تهمس فى أعماقها مرددة :

.. سأقاوم .. نعم سأقاوم.

سأدافع عن ذكرى أبى.

لا ذنب للحب .. ولا ذنب للمبادئ .. القاتل الحقيقى هو عملاق الوهم وشيطانه .. سأفرض الواقع الذى أحب أن أعيشه و أهواه.

سأجعل من قلبى مأوى للأمل .. وحتماً سألقاه.

و.. وصلت إلى حيث تريد.

دخلت المبنى بخطى ثابتة .. أنهت إجراءات طلب المقابلة وهى متماسكة تماماً .. بلا خوف ولا رهبة ولا ارتباك. وكأن كيانها بكل خلجاته قد تحول فجأة إلى قطعة من الصخر. أو من الفولاذ.

وحانت لحظة اللقاء.

وبالرغم من مظاهر اللهفة والندم التى حاول وحيد أن يصطنعها أمامها إلا أن اللقاء كان .. لقاء الغرباء.

بادرها وحيد بنبرة منكسرة قائلاً :

ـ أنا مظلوم يا ناهد .. الظروف قهرتنى.

قالت بحزم :

ـ جئت لكي أسألك سؤالاً واحداً .. و..

قاطعها متلعثماً :

ـ صدقينى .. تصورت أننى سأدبر مالاً سريعاً ووفيراً لنا.

دققت النظر إلى عينيه قبل أن تقول :

ـ أين أجد نجوى أختى ؟!

ـ سأخبرك .. ولكن يجب أولاً أن تسمعينى .. فأنا وقعت فريسة للحظة ضعف أمام مغريات المال .. حاولت أن أقايض بأى شىء فى سبيل الحصول عليه ..

الشيطان أعمانى عن الحقيقة وعن بشاعة الجريمة .. ولكنى أقسم لك إننى لم أسرق شيئاً ولم أبدد أموالاً مثلما يتهمونى الآن.

رددت بإصرار:

ـ سألتك أين أجد أختى الآن؟

استرسل وكأنه لم يسمعها :

ـ أنت تعلمين كم أحبك .. نجوى هى التى أغوتنى .. هى التى مهدت لى طريق الخطيئة. طالبتنى بالمقابل فى سبيل أن توفر لى المال الذى نحتاجه أنا وأنت.

ـ أين أجد أختى يا وحيد ؟!

بدأت ملامح الاستعطاف ترحل عن وجهه، وكأنه قد أدرك بأن لا محالة فى إقناعها .. وبدأ اليأس يتسرب إلى وجدانه .. فقال بصوت خفيض:

ـ إذن هى النهاية .. على كل حال يا ناهد أنا

أتمنى لك السعادة مع أى إنسان غيرى .. ولكن لى رجاء أخير أرجو أن تفسحى صدرك له.

وبنفس النظرة الجامدة .. تساءلت:

- ماذا تريد ؟!

أجاب بلا تردد :

- عادل الخولى.

- لا أفهم !!

إذدرد ريقه قبل أن يقول :

- لقد أخبرتنى نجوى أنه كان يلاحقك قبل ذلك.. وكان يرغبك.

سيطرت على أعصابها بصعوبة .. ثم تساءلت:

- ماذا تقصد ؟!

أجاب ببلادة غريبة :

- أنقذينى يا ناهد .. أذهبى إليه اطلبى منه أن يتنازل عن الشكوى .

وكأنها ابتلعت لسانها .. وطفرت ارتعاشة شديدة فوق شفتيها كما لو كانت تخشى أن تفتح فمها فتندفع من خلاله حمم وبراكين الغضب الثائرة.

بينما واصل وحيد كلماته وأخبرها بمكان صديقة نجوى .. ثم اختتم حديثه قائلاً بكل وقاحة:

- الرجل كبير فى السن .. ولن يستطيع مقاومة رغبتك فى إنقاذى .

قالت بإذدراء شديد :

- حقاً الأرض العفنة لا تنبت أزهاراً .. وأمثالك أصحاب الأعماق المتعفنة ماذا ينتظر الآخرين منهم .. غير ما قلت الآن.

و.. تركته منصرفة بسرعة.

وما كادت تخرج إلى الطريق، حتى فوجئت بوجود أحمد فهمى مرة ثانية يقف بجوار سيارته فى انتظارها. فأسرع إليها وبادرها قائلاً:

ـ كنت أعلم أنك ستحضرين إلى هنا .. ولكن فى هذه المرة لن أدعك تكملين مسيرتك وحدك .. من فضلك اركبى معى فى السيارة.

سبقتها ابتسامة الرضى قبل أن تستقل السيارة بجواره .. ثم همست إليه بالعنوان الذى تقصده، بينما أنطلق هو بسيارته والسعادة تكاد تنطق من خلال نظرته إليها.

وفى الطريق راح يثرثر بصوت مسموع، دون أن ينتظر منها تعليقاً على كلماته .. قائلاً :

.. أوراق الشجر المريضة الذابلة عادة ما تسقط وحدها من فوق الأغصان .. تماماً كما تأكل النار نفسها.. والنفوس الضعيفة تحاول أن تلقى بفشلها وضعفها على غيرها، ولكن أبداً لا تستطيع الاستقرار فوق أكتاف الآخرين فتسقط فى هوه الضياع بلا رجعة.. والحب الحقيقى قادر على حماية نفسه مهما تكالبت عليه مشاعر الحقد والغيرة والشر.. وفرق كبير

بين الأحلام والأوهام، بين القوة والجبروت .. والأمواج العاتية ليست دائماً مدمرة فقد تقذف بغريق إلى شاطئ الآمان قبل أن يلفظ أنفاسه غرقاً .. و..

التفت إليها مسترسلاً :

ـ يا آنسة ناهد نحن لا نختار تجاربنا فى الحياة ولكننا نتعلم منها ولا يحق لنا أن نلعنها ومن الأفضل أن نعترف بأننا لم نحسن التعامل معها .. فلليل نجومه المضيئة المتلألأة وللنهار شمسه الساطعة وللهواء نسماته العليلة وللزمن ذكراه الطيبة كما هو الحال فى حياة أبيك .و..

ولكنها تقاطعه برقة قائلة :

ـ لقد وصلنا ..

توقف بسيارته .. وهمس بابتسامة أكثر رقة :

ـ سأنتظركم جميعاً .. وسأكمل حديثى معك فيما بعد .

مضت الدقائق كالحلم الجميل .. ظهرت بعدها ناهد برفقة شقيقتيها اندلف الجميع داخل السيارة . بينما التفتت ناهد إلى أحمد قائلة :

- أعرفك بأختي نجوى وبأختي نشوى .. والآن من فضلك أوصلنا إلى الذكرى الطيبة .. إلى منزل والدنا.

تمنى لحظتها أن تكون لسيارته أجنحة قوية يطير بها فوق كل الحواجز.. أن يسبح في الفضاء محلقاً ليملأ صدره بعبير كلمتها. تمنى لو كان لديه الشجاعة والجرأة لأن يصرخ بأعلى صوته قائلاً :

.. بحبك .. بحبك يا ناهد .

ولكنه اكتفى بالصمت .. خوفاً محبباً، وكبرياءً شامخاً .. وأملاً متلهفاً.

وظللن الشقيقات يتحدثن طوال الطريق في كل شيء .. إلا عن الماضي استقرت بهم السيارة أمام منزل العائلة .. وانطلقت نجوى برفقة نشوى إلى الداخل، بينما انتظرت ناهد للحظة بادرت من خلالها أحمد قائلة :

ـ لا أعرف كيف أعبر لك عن شكري وامتنانى .

أسرع قائلاً :

ـ كل ما أرجوه أن تعبرى عن رأيك فيما قلته لك.

ترقرقت ابتسامة هادئة فوق شفتيها قبل أن تجيب قائلة :

ـ سأنتظر مكالمتك فى المساء.

أجاب بكل صدق ونقاء :

ـ يا ليتنى أملك أن أسحب ستائر الليل لتغطى الأفق الآن.

تركته بكيانها .. أما هو فشعر بها تستقر فى أعماقه.

وبمجرد دخول ناهد الشقة أحاطت أختيها بذراعيها كاليمامة التى تحتضن صغارها تحت أجنحتها، ثم اتجهت بهما إلى غرفة والدهن ووقفت أمام صورته مرددة ودموع الفرح تملأ عينيها :

ـ أهنأ الآن يا والدى فى مثواك فبناتك ينعمن بميراث مبادئك لنا .. أهنأ يا أبى فذكراك ستكون تيجاناً فوق رؤوسنا دائماً وإلى أن نلقاك يا أغلى الأباء.

وهنا لم تتمالك نجوى نفسها فتقوست راكعة على الأرض استسلمت للبكاء المرير، بينما ارتمت نشوى فوق المقعد القريب وأخفت رأسها بين يديها وراحت هى الأخرى تجهش بالبكاء بصوت مرتفع.

تقدمت ناهد بخطوة بينهما .. ثم قالت بنبرة حانية:

ـ كفى بكاءاً .. وأسجدا فقط لله شكراً لأنه تولاكما برحمته وأنقذكما من براثن الطريق المظلم.

و.. تجاوزتهما فى طريقها إلى غرفتها، فنهضت نجوى وأسرعت خلفها واستوقفتها بصوت حذر وذليل:

ـ ناهد.

التفتت إليها بملامح هادئة .. فأردفت نجوى قائلة :

ـ سامحيني .. لقد تقمصني شيطان الوهم وخضعت لشروره فأرجوك اغفري لي وإن لم تفعلي سأقتل نفسي.

وبكل رضى وحنان أجابتها بصدق قائلة :

ـ لا تقولي هذا يا حبيبتي .. يكفي أنك أنقذتني من إنسان سافل كان يختبئ وراء قناع الرجولة وهو في الحقيقة مجرد وهم كاذب.

و .. اندلفت داخل غرفتها.

ومضت الساعات بطيئة .. بطيئة .. وكأنها أحقاب زمنية.

حاولت أن تفعل أشياء كثيرة .. بدلت ملابسها أكثر من مرة.

كانت تطل إلى الأفق من خلال النافذة تبحث عن لا شيء .. تعود لتجلس على حافة فراشها ثم سرعان ما تنهض وتدور حول نفسها بلا هدف .. حاولت أن تفكر . ولكنها فشلت .. تناولت كتاب قديم

وقلبت صفحاته دون أن تقرأ شيئاً .. وضعت رأسها فوق الوسادة ولكنها فجأة استعادت انتباهها وكأنها تخشى أن تغفو.

وكأن الأرض فقدت جاذبيتها تحت قدميها عندما ترامى إلى مسامعها رنين التليفون .. أسرعت نحوه كالسحابة فى الفضاء .. وتناولت السماعة لتجد صوت أحمد فهمى قائلاً :

ـ لازلت فى انتظار سماع رأيك.

أجابت بلهفة واضحة :

ـ وأنا كنت فى انتظار مكالمتك.

وبنبرة صارخة بالحب .. تساءل :

ـ أحقاً كنتِ تنتظرينى !!

تغلفت أحرف كلماتها بنبض الحنان وهى تقول:

ـ نعم كنت انتظرك .. ولا زلت أذكر كلماتك لى.

بأن الماضى الأسود ليس له مكان فى الغد المشرق.

و.. ساد الصمت بينهما .. صمت له صدى فى أعماقهما.

كما لو كان فى هذه اللحظة طائر الحب يحوم فوقهما وكأنه يبحث عن مأوى.

تمت

صدر للمؤلف



صدر للمؤلف



صدر للمؤلف



دار قباء

للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

16 عمارات العبور شارع صلاح سالم

الدور الثالث - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس : 02/2621365

محمول : 012/3140315